نهيل مهنا

ممنوع دخول الرجال

رواية ساخرة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة ١١٩٧

ممنوع دخول

الرجال

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى: تشرين الأول/أكتوبر 2021 م - 1443 هـ

ردمك 978-614-01-3354-9

جميع الحقوق محفوظة

توزيع

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L.

facebook.com/ASPArabic

twitter.com/ASPArabic

www.aspbooks.com

asparabic

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

8 7 23 مكتبة
t.me/soramnqraa

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون .

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

نهيل مهنا

ممنوع دخول الرجال

رواية ساخرة

مكتبة 1197

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

تحذير:

كل شخص دخل حياتي معرض أن يكون في هذا الكتاب، سواء عن قصد أو بغير قصد.

الإهداء

إلى جيل الثمانينيات

إلى النساء المخذولات

إلى أمهات غزة القويات الصامدات الحالمات الطموحات

الصابرات المناضلات

وأخيرًا

إلى نهيل الأم.

أسعد الله صباحكم بكل الخير أعزائي المستمعين..

هذا وقد شهد صباح اليوم جريمة قتل أخرى لزوجة تقتل زوجها خنقًا، ومن الجدير بالذكر أنها الحادثة الرابعة منذ بداية هذا العام 2025، حيث توالت جرائم القتل لأزواج على أيدي زوجاتهن، وللأسف الشارع الفلسطيني يسوده القلق، ويتساءل عن السبب الرئيس لارتفاع معدلات جرائم القتل في الفترة الأخيرة، فهل هو نتيجة الظروف المعيشية القاسية مع ازدياد نسبة البطالة بين صفوف الرجال، تحديدًا في ظل أزمة تقليص الرواتب، وأيضًا تضييق الحصار ما أدى إلى زيادة الضغوط على المواطنين؟ أم هي نتيجة الفقر وتردّي الحالة الاقتصادية التي تزداد وطأتها يومًا بعد يوم؟ هذا وقد أصبحت جرائم القتل حديث الشارع، حيث يرى خبراء علم النفس والأخصائيون النفسيون، الذين أدلوا بدلوهم، أنه يجب الإسراع في وجود حلول، وإلا سيشهد القطاع ارتفاعًا ملحوظًا في هذه الجرائم بمعدل حادثة جريمة قتل واحدة كل أسبوع إذا بقيت الحالة على ما هي عليه. لذلك نناشد المسئولين والسلطات لإيقاف هذه الجرائم وضرورة التدخل السريع، فإلى جانب معدلات الهجرة بين صفوف الشباب، وتزايد جرائم القتل التي يذهب ضحيتها الرجال سيصبح لدينا رجل واحد مقابل ثلاث إناث.....

فجأةً أغلق السائق الراديو الذي يبثّ نشرة الأخبار في سيارته، ونظر إليّ وأنا أجلس في الكرسيّ الخلفيّ، ولم يكن هو الوحيد الذي ينظر إليّ بخوف، إنّما باقي الركاب في السيارة، والذين صودف أنهم رجال فقط. أطالوا النظر إليّ ثم نظروا بعضهم إلى بعض، ومن ثم غادروا السيارة بسرعة، وقد أسلموا سيقانهم للريح، لأبقى في السيارة وحدي، وقد ملأتني الحيرة والدهشة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

تمهيد...

الفكرة بسيطة جدًا يا جماعة لدرجة أنني نفسي، أنا نهيل شخصيًا، لستُ مقتنعة بها، ولكني بدأت بتنفيذها، وبروح رياضية، وبمرح وضحك، ولعب وحب. وطبعًا، أنا لا أتوقع من تحقيقها شيئًا كبيرًا، ولا حتى صغيرًا.

الفكرة كلها أني أعيش في غزة، ومن يعرف غزة يعرف أن من يعيشون فيها يفعلون أشياء مجنونة، وغير منطقية من وجهة نظر الآخرين خارج غزة وداخلها. لكني أقصد أن هذه الأشياء هي ضرورية لنا لكي نستمر في الحياة، هي طريقتنا المجنونة للبقاء. ومع ذلك فتحديدًا كلمة مجنونة تستخدم كثيرًا للمديح، كأن يُقال: فنان مجنون، أووووه يا له من مبدع مثلًا.. لكن ما هي الفكرة يا نهيل: أنا الآن أسأل نفسي أمامكم. بصراحة، وبدون خبث المؤلفين وحركاتهم الالتفافية، سأكون صادقة مع نفسي: بصراحة لا أعرف.

كل ما في الأمر رغبتي بأن أكتب رواية. لا.. لا أعتقد رواية تحديدًا، ربما الأقرب إلى اليوميات، أو فلنقل: أريد أن أكتب شيئًا فقط، وليس مهمًا أن نسميه الآن. ربما بعد سنوات يتحول إلى فيلم سينمائي.

نعم هي مشاهد من حياة حقيقية ومختلقة، حدثت أو توهمتها. في النهاية - أو في البداية - أردت أن أحكي حكاية والحكاية هي طريقتنا أو

أفضل طرقنا المجنونة للبقاء، والاستمرار في هذا المكان الجهنمي المسمّى غزة.

ولأني احتجت لإلهامٍ ما، بريقٍ ما، شرارةٍ تسحبني لاستكمال العمل، فقد قمت بتصرف هو الأكثر جنونًا من جنون الفكرة ذاتها. ولأن المهمة صعبة، ولأن شعبي هو الأكثر استخدامًا لشبكات التواصل الاجتماعي في المجتمع العربي والغربي، وحتى لا أضيع الوقت في البحث عن إبرة في كومة قش، ارتأيت أن أضع إعلانًا من حساب مزيف على موقع "فيس بوك" أبحث من خلاله عن الملهمة، عن قصة ترويها لي امرأة، وتكون هي بطلة روايتي. وتخيلت أنني بالضرورة سوف أقع على كنز ما، وأن أقول مثلًا: افتح يا سمسم، فتنفتح مغارة علي بابا وتنهال الأسرار على نهيل. ولكن، ولأن المتقدمات كنّ كثيرات جدًا وأكثر من حجم توقعاتي، رأيت أن كل امرأة في غزة تصلح أن تكون بطلة رواية تسكن في الظل، وبين الشوارع، وخلف الغرف المستورة، وفي أكشاك الولادة، وعيادات وكالة الغوث. كلهن شخصيات روائية تمشي بيننا، وكل واحدة ترغب جدًا في أن تصادف مجنونة مثلي تقوم بتدوين "خرافيتها" ليقرأها الجميع. ما اضطرني أن أقوم بمقابلة المترشحات واللواتي تمت مقابلتهن في أماكن متفرقة، وأزمنة مختلفة لتقليل وطأة التعب النفسي عليّ، وللوقاية من الأمراض المحتملة كالشلل والجلطة والموت المفاجئ. وإليكم ما شاهدته وسمعته من قصص، ولا ألف ليلة وليلة.

1

في حي الرمال بغزة، وتحديدًا في حديقة الجندي المجهول المعروفة لجميع سكان القطاع بدون استثناء، ولا أعلم لماذا اختارت بطلة روايتي المحتملة، وملهمتي، هذا المكان بالتحديد. وعلى أحد المقاعد الحجرية تحت ظل شجرة لم أفكر قبل اليوم بحاجتي لمعرفة اسمها!.. ولكن للأمانة الروائية استعنت ببائع الشاي في المكان عندما طلبت منه كوبين من الشاي لي ولملهمتي، التي جلستُ بجوارها، وسألته:

- لو سمحتَ.. شو اسم هذه الشجرة؟
- هاي شجرتي، أنا هنا من سنين ولا واحد يجرؤ يأخذ مكاني، أنا أضيع فيها حياتي لو في واحد بيفكر بس...
- بس.. بس يا عم، الله يسهل أمرك... هات الشاي الله يوفقك ويخليلك شجرتك.

سيدة في أواخر العقد الثالث من عمرها ترتدي جلبابًا أسود فضفاضًا يُظهِر نحافتها، وشالًا صوفيًا أخضر شاحبًا ربما من كثرة الغسيل، كان يبدو عليها التعب وكأنها فرحت بكوب الشاي الذي ربما سيمتص تعبها بعد نهار مرهق! ابتسمتُ لها.. ورأيتُ أنها تصغي لما قاله بائع الشاي للتو، وكأنها فهمت قصده، أو خطر ببالها أنني أفكر في

استغلال محيط الشجرة؟ معقول؟! فهي لم تنزعج مثلي، وأما أنا فتجاهلتُ فكرة السؤال عن اسم الشجرة، لأن أركان الرواية لن تختل، فهي مجرد شجرة ولا يهمني إلا ظلها وورقها الأخضر الذي يشبه لون شال السيدة، واهتممت بعصافيرها التي تروح وتجيء بلا هدف مثل تلك الأسئلة الكثيرة التي تجول في رأسي الآن، لدرجة أنني خشيت أن أقع بالتباس مع السيدة كما حدث مع بائع الشاي منذ قليل.

عندما سألتها عن اسمها، أجابت:

- هنادي.
- هتنادي على مين؟

تلفتت السيدة حولها وربما نظرت باتجاه بائع الشاي الذي ظل يتابعنا بنظراته المريبة.

- مش فاهمة؟ آه... لأ أنا اسمي هنادي.
- شكلك بتحكي جد! محاولة لفت انتباهها وتجاذب أطراف الحديث معها.
- آه، والله يا أستاذة..
- لما اتصلتِ عليّ ووافقتِ تحكي معي ما حكيت لي اسمك.. من شو خايفة وقلقانة؟ وليش اخترتِ هذا المكان بالذات نتقابل فيه؟ وبدون تردد أجابت على سؤالي.
- نفسي بولد.
- نعم!! ما تجيبي ولد هو في سبب يمنعك؟ ولا خجلانة تقولي أنك كبرتِ وراحت عليكِ؟!

- لا.. لا، مش هيك القصة.
- ولّا شو القصة؟!

ردت السيدة بصوت يشبه الهمس: زوجي ما بجيب أولاد.. نسبته ضعيفة لهيك ما حملت.

- يااااه على قلة الحيلة! ليه ما جربتِ أطفال الأنابيب، وعملتِ زراعة؟
- مين حكى لك ما جربت.. خمس عمليات وبدون فايدة. صرفنا كل اللي ورانا واللي قدامنا، لدرجة صار يشتغل طول الأسبوع ليل ونهار.
- سافروا اعملوها في الخارج.

تلفتت السيدة نحوي بريبة، وقد عقدت حاجبيها بتهكم، ثم أدارت وجهها ناحية بائع الشاي، في هذه اللحظة شعرت بأني قد قلت شيئًا لا يُغتفر، وفعلًا فقد ردت السيدة بحدة وبصوت غاضب:

- على أساس أنه السفر سهل! ما أنت عارفة معنى إن واحدة تعمل زراعة طفل أنابيب وراح تنام في المعبر ثلاث ليالٍ؟
- الموضوع شبه مستحيل قصدك؟
- قصدي معجزة تحديدًا أني قربت على الأربعين، أنا خلاص قربت أوصل سن اليأس.. لا الظروف بتسمح ولا العمر ببشر بخير.
- كم سنة صار لكم متزوجين؟
- 20 سنة.. ونظرت بلا إرادة تجاه بائع الشاي

لا أعرف لماذا تكرّر نظراتها في كل مرة ناحية البائع. هل ترغب السيدة بكوب شاي آخر؟ لا أعرف. لكني بدأت أشعر بالقلق، وفكرت في تغيير سير الحوار إلى منطقة أكثر عاطفية.

- بتحبيه؟

أجابت بموارية: بقدرش اتركه لوحده، ما بيهون عليّ، عشرة عمر..

تنهدتُ وتوليت أنا هذه المرة المهمة، وحاولت إخراج ذلك الصوت المكتوم، فلم يخرج إلا صوت يشبه صوت فرامل سيارة على أسفلت خشن.

- يعني عايشة معه شفقة؟ لا تستغربي من صراحتي، أنتِ تجمّلين المعاني، في شيء اسمه حُبّ، وفي شفقة، وفي عِشرة، وفي تعوّد، وفي لهفة، وفي شوق، وكل شعور منهم عالم مختلف. لا تخلطي الأمور.. شو وضعك بالضبط؟

- أستاذة هي قصتي ولا قصتك؟

- قصتي أنا طبعًا.

- لا آسفة، هذه قصتي أنا. ومأساة عايشاها أنا. وأنا اللي بعاني مش أنت، وأنا اللي نفسها بالولد مش أنت! فهمت ليش، هذه قصتي مش قصتك.

خِفت أن أذكرّها بأنني الروائية، ويجب أن أسجل الحكاية بصدق وصراحة على طريقتي أنا، فتغضب وتغادر. نظرتُ أنا هذه المرة نحو بائع الشاي، وللغرابة فقد قفز نحونا مهرولًا وقال وكأنه يستوقفني:

نعم.. قهوة ولا نسكافيه؟ فلم أرد. لكن السيدة قالت: مشكور.. يعطيك العافية.. شربنا كفاية.

فعاد إلى مكانه وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة، وأنا لا أفهم ماذا يحدث حولي. ولذا فقد واصلت الصمت.

- أنا فقط تنقصني معه راحة البال، لأنه مسئوليتي الكبيرة، خصوصًا أن زوجي مريض. يمكن لو كانت مسئوليات الأطفال أولادي كانت بتهون، بس عارفة معنى أنك تكوني مربوطة بزوج مريض طول الوقت، ومحرومة من كل شيء، وتعتني بطفل كبير؟ أي نعم مسئولية الأطفال حلوة، رغم أنها متعبة، لكن ولا أصعب من إنك تتحملي مسئولية شخص كبير ومريض، لا بيقدر يستغني عنك ولا أنت بتقدري تتركيه.
- طيب لو عكسنا الموضوع وتبادلنا الأدوار، يعني خليني أكون صريحة معك، وأسألك، لو كنتِ أنتِ ما بتجيبي أولاد تفتكري كان صبر عليك سنة واحدة؟ سمعتِ عن كم واحد صبر على زوجته اللي ما بتخلف؟ أو سمعت عن كم واحد صبر على زوجته اللي خلفت طفل واحد بس، وصحتها ما ساعدتها تنجب غيره؟
- لا طبعًا، ما في رجل بينتظر، ولو هو ما سأل تلاقي أمه وإخوانه بدهم الولد، ومن جهة ثانية اللي مقيدني ومربط إيديّا زعل أمي وأبي اللي ضيعوني، لو تركت من أول الطريق كان الموضوع أسهل. أنا بأندم اليوم لأني سمعت كلامهم، وأنه لازم أكون

أصيلة، هو مش من حق الأصيلة كمان أنه يكون عندها بيت وأولاد؟! صدقيني دفعت ثمن أصالتي غالي جدًا يا أستاذة.. الوحدة صعبة.. كان نفسي بضنى يكون جزء مني يملى حياتي ويشاركني حزني وفرحي ويشيلني وقت الشدة، شو النتيجة هلا؟ بيت بلا روح ولا سكن ولا صوت، عايشة وبشارك الكل فرحه، لكن فرحتي دايمًا ناقصة لأني غير عن كل الستات اللي حواليا.. صح بأحب أولاد إخواني وإخواته لكن ما بكذب عليكِ مش زي ما يكون ابني، كل هذا وسكتت وكتمت بقلبي عشان أهلي ما يزعلوا.

- أهلك؟! عفوًا شو علاقتهم في قصتك؟ المفروض من البداية فكرتِ بطلب الطلاق وشفتي مصلحتك، مش بعد هالعمر، ضاعت كل فرصة منك ووقفتِ بطريق مسدود.
- أهلي رفضوا طلاقي، خايفين من كلام المجتمع، وحكوا اصبري خلي عندك أمل وبسببهم أنا اليوم ميتة، أنا شجرة بدون ثمر، زي هاي الشجرة، وأشارت بيدها نحو الشجرة.

مرة أخرى بعد إشارة ملهمتي بيدها نحو الشجرة هرول بائع الشاي نحونا، وبادرنا بسؤال غريب: قعدتكم مطولة؟

تأكدت فعلًا بأن هذا الرجل غير طبيعي، أو أنني أفعل شيئًا لا يعجبه، والأكثر دهشةً هو عدم اكتراث هنادي أو انزعاجها مما يحدث. فقط تبتسم ابتسامة صغيرة لا أفهم منها شيئًا.

- لا يا حاج، دقائق وماشيين.

وتركته وتعمدت أن أكمل حديثي وتجاهلت وقوفه المرتبك.

- طيب نرجع لموضوعنا، أنت عندك هوايات، اهتمامات؟

- انشغلت بموضوع الولد، والعمليات والزراعة والديون ونسيت نفسي.

- زوجك مهم بالنسبة لكِ؟

نظرت إلى عينيّ وقالت: يكفي أنه بغيّر لي أنبوبة البوتجاز، يفتح لي علب الصلصة، وأحيانًا يطفئ نور الصالة، وأهم شيء أنه خبير في تبديل اللمبات المحروقة لأنه طويل، طويل جدًا. ضحكت.. ما بكذب عليك العِشرة ما بتهون رغم كل الوجع إلي أنا فيه.

- هنادي؟.. أنت غريبة بجد!!

ضحكت هذه المرة بتحسر وقالت: هتنادي على مين؟ ولا أقول لك أنا حانادي عليه.

- مين؟

- زوجي؟

وأشارت بيدها نحو بائع الشاي، فجاء مرة أخرى متحفزًا، ووضع يديه خلف ظهره، وأمال بجسمه نحونا ولم يتكلم.

استغربتُ وسألتها كيف وافق أن تقابليني؟ قالت مبتسمة: عنده أمل أنك تساعدينا وتلاقي معنا حل، لكن أنا شايفة حتى من عندك الطريق مسكر في وجهي.

في الموعد التالي مع ملهمتي المحتملة الثانية اخترت أنا مكان اللقاء حتى لا يزعجنا بائع شاي.

وصلت قبل السيدة التي كلمتني على الماسنجر إلى مقهى راقٍ، يصعدون إليه في الطابق الثاني من مبنى كبير وفخم بوسط غزة. تفحصتُ النادل فبدا لي طالبًا جامعيًا مبتسمًا، وأصابعه بلا خواتم، فتنفستُ الصعداء. غزة امتلأت في سنوات الحصار بالمقاهي، أماكن مناسبة لاستيعاب أوقات الفراغ الكبيرة للعاطلين عن العمل أو لمجرد استراحة لمن أرهقهم التسوّق، والعمال أغلبهم طبعًا من الخريجين. كنا قد اتفقنا أنا والسيدة على أن نرتدي شالات صفراء كي نتعرف على بعضنا أولًا، وثانيًا ربما لأنني بدأت أتذمر من صاحبات الشالات الخضراء.

- مرحبًا. أنتِ أزمير؟ صح؟

سيدة في الثلاثينات من عمرها، قوام ممتلئ قليلًا، وجه مكتنز مع وحمة واضحة على يمين الأنف، ترتدي جاكيتًا جلديًّا طويلًا، مع بنطال جينز، وتنتعل حذاءً رياضيًّا، وطبعًا ترتدي شالة صفراء حسب اتفاقنا. جلست باسترخاء غريب ووضعت ساقًا على ساق، ورمت حقيبتها بجوارها وأجابتني:

- تمام. أنا أزمير بعينها.
- أهلًا وسهلًا، نبدأ من اسمك.. أزمير مين وعلشان إيه؟حاولت ممازحتها وأن نبدأ حوارنا بدون تكلف.
- أزمير أبو غنيمة.
- هو من ناحية غنيمة فأنتِ أكيد غنيمة أهلك إن شاء الله، بس ليه سموك أزمير؟

- أمي لما كانت حامل فيا كانت تحلم بالسفر لتركيا، وأزمير مدينة مشهورة فيها، زمان كانت الحياة رايقة، والناس طالعة نازلة والسفر ممكن، مش زي اليوم آخرتنا مشوار لبحر خانيونس.
- طيب وبدون إزعاج، الوحمة من الولادة ولا شيء آخر؟
- لا من الحرب، من الخوف والفزع طلعت لي وحمة.
- سبحان الله!!
- آه، والله الحرب هي السبب.. لا تستغربي، بغزة كل شيء بتشوفيه أو بتسمعيه سببه الحرب. وضحكتْ بانفعال حتى ألقت برأسها إلى الخلف، وحيث لم أخمِّن سببًا مناسبًا لضحكتها، تعمدتُ الدخول بالموضوع مباشرة وبادرتها بجدية السؤال:
- أزمير.. كيف تم زواجكم؟ هل تزوجتم عن حب؟
- لا عن بزنس، وعايشين على الحلوة والحلوة.
- والمُرة؟!
- نووو ما بحب المُر، أنا مودي الحلو وبس. تسقيني المرّ ليه؟ أنا عايزة كركديه ها.
- مممممم.. طيب نرجع لموضوعنا، شو قصة البزنس؟
- زوجي كان عندو محل لبيع الملابس والأكسسوارات في شارع الجامعة، وأنا عرفته من هناك وتعرَّف على أخي وصار شريك بجهده ورأس المال، ولما تغيرت الأحوال بسبب الحصار وإغلاق المعابر، صار له شيكات على أخي، وخفت

على أخي ينحبس فطلبني للزواج مقابل سكوته على الشيكات اللي على أخي. من يومها وأنا كاسرة عينه كل ما ذكر الشيكات وبده حقّه أهدده أنا بالطلاق منه فيتراجع.

- مين يكسر عين مين؟ ومين اللي يحبس أخو مين؟ يعني زوجك له شيكات على أخوك، وكمان بتهددِيه بالطلاق؟!
- بصراحة وكلام بيني وبينك إلك حق تستغربي هاد اللي صار، لأنه بيحبني وما بده يخسرني، بس لازم أكسر عينه، حتى لا يستضعفني ويذل أخي، أفقّع مرارته وأطلّع روحه أحسن ما أكون خايبة وأعتكف على حائط المبكى وأصير راهبة.
- لا إله إلا الله اسمها: أزهد أو أترهبن في كنيسة، أنتِ جمعت كل الديانات في جملة واحدة، حقيقي، حقيقي أنا منبهرة بمنطقك الغريب.
- ويا أستاذة شو تعملي لو كلمتك عن أيام الخطوبة؟!!
- خبريني.. كلي شوق لأسمعك.
- أنا أعجبك.. إحنا خطبنا قبل الحرب، كانت أيام زي العسل؛ انسجام وحب، ورومانسية وراحة بال، كنا نحب بعض كثير، وكان دايمًا يجيب لي الهدايا والشوكلاتة أشكال وأنواع، لكن الله يسامحه ضربني بدلاله.
- ليه؟ قولتي أنه دلّلك؟
- أنا أكثر واحدة زارت عيادات لعلاج حبّ الشباب من كثرة ما أكلت شوكلاتة.

- مش فاهمة وجهة نظرك؟ ولا وين بدك توصلي؟ يعني أيام الخطوبة كانت حلوة ولا مُرة؟... كانت حُب ولا حَب شباب؟
- لا أنا مودي الحلو دايمًا قلت لك، خليني أندمج، تقطعيش إلهامي؟

لم أعلّقْ، ووضعت يدي على فمي ملتزمة الصمت. هذه السيدة ترى أن حياتها فيلم لا حقيقة، فتركتها تكمل وتعيش لحظتها التذكارية، رغم أني تذكرت في لحظتي الدرامية أننا لم نطلب بعد أيَّ مشروب.

- أذكر مرة قلت له: عايزة أروح على مكان ماحدش يكون..
- صبرك بالله، اسمحيلي أكمل عنك، احم أنا نفسي أنا وأنت نروح على مكان ماحدش فيه غيرنا، وفي الآخر تلاقوا هناك كل الناس اللي حكوا هاي الجملة، وطبعًا المكان أزحم مكان في الدنيا، لأنه كل اللي مش عايزين يشوفوا حدا بيكونوا هناك.

سألتها: شو تشربي؟

- يا ريت شيكولاتة ساخنة.
- طيب والكركديه!!
- لا هو كان إفيه.. لزوم القافية ها.
- وحَب الشباب؟
- لا ما هو إحنا طلعنا بمركب في البحر، ولسه في أول خطوة..

قاطعت حديثها، وناديتُ على النادل، وطلبتُ شيكولاتة ساخنة لي ولها، وطلبتُ زجاجة ماء كبيرة لترطيب شعوري بالعطش الذي بدأتُ

أشعر به من كلامها المبعثر، والذي لا علاقة له بما كنت أفكر فيه من شخصية ملهمة وبطلة لروايتي.

- هاه وبعدين؟
- وقعت.. وانكسرت يدي وبدل ما نروح لمكان رومانسي رحنا على المستشفى، وتصوير وأشعة وجبس. وطبعًا أهلي لم يصدقوا قصة أني تزحلقت ما بين المرسى والمركب، وقالوا لنا: قولوا غيرها، ولمحوا تلميحات مهينة ومشينة واقترحوا ستر الفضيحة بالزواج المستعجل، وفعلًا تمت مراسم الزفاف والدخلة وإيدي في الجبس.
- نهار أسود... أقصد أبيض زي الجبس يعني.
- مش هذه المشكلة.. عادي الفستان كان أبيض ماشي مع اللون، بس حضرته عجبته الحكاية، وكل ما نختلف صار يكسر لي يد أو رجل.
- وأنت شو بتعملي؟
- أكسرله رجل أو يد طبعًا، واحدة بواحدة. ها لازم تستقوي على الرجل، ما بينفع يحس أنك ضعيفة، خصوصًا أنه عنيف ودايمًا يهددني أنه يكسر رقبتي كمان. الله يخرب بيت الشكولاتة عرف كيف يستدرجني.
- ولا يهمك اشربي... اشربي الشيكولاتة قدامك.
- لا يا حلوة... الشوكلاتة ساحت، وراحت مطرح ما راحت.. هاها.

وعادت إلى ضحكتها الهستيرية، وحركتها المعهودة وهي تحني رأسها للخلف.

- آه رجعنا للمسلسلات، ممكن بعد إذنك تسكتي شوية؟ أنت من ساعة وأنت تحكي إفيهات وأنا ساكتة!! هو مين المؤلف أنا ولا أنتِ؟ إحنا قاعدين هنا علشان نؤلف رواية مش نضحك مع بعض.
- بس أنا البطلة أقول اللي أنا عايزاه؟

فجأه تذكرت هنادي وزوجها بائع الشاي فنظرت إلى السقف أفتش عن شجرة ما فلم أجد فقلت: الحمد لله.

- خير.. مالك؟
- لا ولا شيء.. بس ممكن أسألك عن تفسيرك لحالة الحرب الطاحنة بينكما؟
- أنا مش عارفة ممكن أنت تحكي لي عن أسبابها من وجهة نظرك يعني؟ كونك أنت المؤلفة لازم تعرفي؟
- احتمال يكون مش حاسس بالأمان، والتهديد هذا ردٌّ فعل على شعوره بالخوف. بيخاف إذا حب واحدة قوية تتركه، بيخاف إذا أعطاها الحرية تتمرد وتستغني عنه، بيخاف إذا صار عندها فلوس كثير تركنه. الرجال أضعف منَّا، لأنه دوافع الخوف عندهم بتكون أكثر. لكن إحنا ما عنا شيء نخسره إذا فقدنا الحب، لا بنخاف ولا بنتهدد، بكل الأحوال كسبانين ويمكن عشان هيك ستات كثير مش فارقة معاهم.

- في منّه.. لكن كلامك ما بيمشي كله عليّ كأزمير.
- لا كلامي يمشي على كل الحالات، لكن بعد الحرب يمكن الأمور تغيرت. مود الحلاوة تعكّر.. والناس عزفت عن الأفلام وراحوا على الفيس بوك.
- أيوه ه ه وهاي المصيبة الكبيرة.
- خير؟! شو هي المصيبة؟
- الفيس بوك يا ستي، سبب الفتنة وكل البلاوي، مرة مسكته متلبس بيحكي مع بنت على الفيس، بنت من المثقفات إياهم اللي بيكتبوا كلام واحد اسمه بيشبه اسم الجبنة.. نسيت اسمه.
- مثقفات وكلام واحد اسمه جبنة!!
- آه... مش أنت مثقفة؟ أكيد عارفاه حتى آخر اسمه الرومي.
- له.. تكونيش بتقصدي جلال الدين الرومي؟!! ميه ميه ناوليني أشرب.. اتشردقت.

كدت أن أشرب كل زجاجة الماء حتى ارتويت وسألتها: وبعدين؟! شو عملتِ؟؟

- حرضت أولاده عليه خصوصًا بنتي الصغيرة، أصله روحه متعلقة فيها، وحكيت لها: بابي وحش بابي بيخون مامي. وحكيت له في وجهه: شوف أنت هريت عافيتي وفي الآخر بتحب بنت بياعة جبنة؟
- بابي ومامي وهريت عافيتي وجبنة رومي!! ما علينا، كملي.

- مسحت في كرامته السراميك.
- على علمي أنه البلاط؟
- لا.. لا سيراميك علشان البرستيج، وبعدين مصنع البلاط سكر بعد الحصار، بس جد قهرني، وعلى رأي المثل ما عدوة المرأة إلا المرأة نفسها.
- هذا مثل؟
- صح، سمير منصور حكاه.
- طيب وأنيس منصور شو حكى؟
- هما قرايب؟ مش عارفة.
- طيب ليه بتشتتي الموضوع؟ ما تحكي عادي من غير أمثلة وأسماء.
- يعني الثقافة تحكم، قلت أحفظ لي كلمتين لزوم الانترفيو.
- أزمير.. آخر سؤال؟
- لا استني بس أنت مش عارفة شو لقيت؟
- أكيد مسجات وواتس أبات وأفلام.
- يا ريت، لقيت على رجله وحمة زي اللي على وجهي، واستغربت ليه أنا مش شايفاها من زمان، وصرت أشك أنه هيطلع أخويا زي الأفلام الهندي.
- خلصيييييني ومتى الطلاق؟ أنا تأخرت ولازم أمشي يا أزمير.
- لا الحمد لله ماحنا رجعنا لبعض بسرعة، أصل بنت جلال الرومي طلعت بنت أخته، بس أنا ما كنت فاهمة، وتصوري

وحمته راحت بدون علاج بعدها يمكن بشهرين. مالك حاطه إيدك على قلبك؟!

- هو الواحد لما يصير معه سكتة قلبية وين بيحط إيده؟
- أعتقد على جيب القميص، هيك باشوفهم في الأفلام، لأن بيكون الفلوس ضاعت منه غالبًا.
- أزمير سؤال أخير لو سمحتِ: أمك سافرت على تركيا ولّا لسّه؟
- لا طبعًا، وعلشان هي ما سافرت طلعت لي أنا الوحمة، أصل أنا بحب مامي كثير.
- روحي يا أزمير.. الله يسهل عليك.

ودفعت أنا ثمن الشكولاتة من دم قلبي... ولا أعرف هل تصلح أزمير فعلًا أن تكون ملهمة حقيقية أم بطلة أفيهات لمسلسل كوميدي.

2

في السيارة وفي طريق ذهابنا إلى السوبر ماركت، كانت المرأة التي تجلس بجوارنا، أنا وابنتي، تأكل حبوب البازيلاء الخضراء وبنهم شديد بعد إخراجها من قرونها. سألتني ابنتي بصوت منخفض:

- ماما أنا ملاحظة إنك ما بتركزي منيح.
- أنا تعبانة فعلًا وعندي مشاكل كثيرة يا ماما.
- إحنا لحالنا هلأ في البيت وما شفتش أي مشاكل؟
- كل معارفي سيدات يا ماما، وكل واحدة عندها مشاكلها، وخالتو كاميليا صديقتي الوحيدة أمها في المستشفى، لها فترة ومش مركزة معي وبفتش عن عمل، وأنا محتاجة حد يسمعني ويفهمني.
- طيب قولي إلي أنا باسمعك.
- شكرًا يا عمري بس أنا محتاجة حدا كبير يسمعني، حد زيي بعمري، بس أنا للأسف ما عندي أصحاب.

طبعًا ابنتي لم تتأثر بتاتًا بكلامي لأنها تعرف جو الدراما الذي يتملكني أحيانًا. أدارت وجهها ناحية الشباك، فأدرت وجهي أنا أيضًا ناحية المرأة صاحبة البازيلاء، حيث فوجئت بها وقد تأثرتْ جدًا بمشكلتي، وكادت الدموع تتساقط على خديها رغم استمرارها في أكل

البازيلاء! فالشعوران منفصلان، استمتاعها بالتهام البازيلاء لا يلغي شعورها بالأسى عليّ. عمومًا كنا قد وصلنا إلى السوبر ماركت ونزلنا من السيارة، وبعد خطوات انفجرت أنا وابنتي في ضحك متواصل للمفارقة المضحكة المبكية، ولكي تكتمل المفارقة داخل المكان شاهدني أحد الزملاء القدامى، وجاء ليسلم عليّ أنا وابنتي، وهنا نظرت إليّ بعتاب قائلة بصوت عالٍ، كاد أن يلفت انتباه كل من في المكان إلينا:

- ماما هي عندك أصحاب! ليش بتحكي أنه ما عندك أصحاب؟.. آه..

طبعًا تركنا الزميل وهو يبتسم، وواصلت ابنتي الشقية انشغالها بـ "kinder joy" التي ورطتني بشرائها كالعادة، بعد أن اكتشفت أن لعبة اليوم داخل البيضة ليس لها شبيه بين ألعابها المكدسة في البيت، وفي الزوايا وداخل الأدراج، وفوق مكتبي، وشرعت تقفزبانتصار كانتصار كريستوفر كولومبوس عندما وصل إلى أمريكا وهو يظن أنه اكتشف الهند، وتغني: انزل بقى يا حمادة، اطلع بقى يا حمادة، وأكملتُ أنا بقية يومي في حرج شديد.

في الصباح التالي حسمتُ أمري، واتصلت بسكرتيرة المدرسة:

- ألو.. لو سمحتِ يا حضرة السكرتيرة عايزة أقدم شكوى في باص المدرسة اللي بيجي يأخد بنتي.
- ماله؟
- بيحط للأطفال أغاني مش مزبوطة.

- كيف يعني؟
- يعني أغاني بتحسيها كده not suitable
- ممكن توضحي لو سمحتِ؟
- أغاني زي كلمني على الفودافون وأشوفك على الماشي طلع وماجاشي
- أها بس أنا مش فاهمة وين not suitable في الموضوع؟
- لحظة، لحظة.. افتكرت حاجة تانية: تعالالي يا ولا في حضني، ما تنفضيش وتسبني، انزل بقى يا حمادة، اطلع بقى يا حمادة حتى آخر الكوبليه.
- أهاااا صح كلامك
- وأنا أُمّ بهتم في تربية بنتي صح ما بنفع أشوفها بتتشقلب على هيك أغاني في البيت طول الوقت، وبتنسى كل حاجة صح أنا علمتها لها.
- مفهوم يا أستاذة حنحطلك في باص المدرسة موزارت وشوية بتهوفن. أوامر تانية يا أستاذة؟
- لا شكرًا، هيك تمام.

لا أعرف ماذا فهمت السكرتيرة من رسالتي، كل ما في الأمر أنني شعرت بجرعة زائدة من الإحباط بعد مقابلة ملهمتين، ومقابلة زميل لم يعد زميلي. ولكنني اتصلت وحاولت وبلغتها اعتراضي. أتمنى على الأقل هذا الأمر ينجح، ولا أمانع لو وضعت موسيقى لسيد مكاوي، وهو يقول الأرض بتتكلم عربي، وبذلك تكون ابنتي حفظت كلام

ممكن أن أفهمه، لربما يخفف قليلًا من التلوث السمعي الذي يزعجنا في الباصات وسيارات الأجرة على مدار الساعة.

بعد مقابلتي المتعثرة مع السيدة أزمير ذات الوحمة، والتي لم أعرف سببًا لها، حيث اختلط عليّ أسباب ظهور وحمتها بين حاجة الأم للسفر "قبل الولادة وبعدها" أم أنها الحرب يا سادة؛ فقد بدأت أشك أنني قد أجد فكرة أو شيئًا ملهمًا لروايتي من خلال مقابلات جديدة، فقد كانت الأمور لا تبشر بشيء مختلف، ولأني كنت قد تورطت بالفعل في إعطاء أكثر من وعد باللقاء لبعض السيدات، وأكملتُ بشكٍّ كبير وآمال قليلة. التقيت حسب الجدول السيدة "سين".. هي ألحت عليّ أن أسميها سين حرصًا على خصوصيتها، لأني أعرفها، فهي إحدى اللواتي يترددن على الملتقى الثقافي الشهري، ولم يكن يبدو عليها - لي على الأقل - أنها تعاني من مشكلة ما، لذلك فاجأتني حين شاهدتها تدخل من بوابة منزلي.

- مرحبًا أهلًا بك، ومليون مرحبا.

وبعد أن أجلستها في الصالون وأنا أتلفت، وفي حيرة من أمري، وكأني أريد أن أتأكد من سبب زيارتها.

- أنا اللي كلمتك على الفيس. وابتسمت بخجل.
- أنتِ سين؟! مش معقول!!
- لا تستغربي، في غزة توقعي كل شيء.
- عفوًا.. أهلًا وسهلًا مرة ثانية.. أنا بصراحة محرجة أسألك أي سؤال.

- أبدًا وبدون إحراج.. ما هو سؤالك؟
- كلمة (إحراج) بتتكتب بهمزة تحتانية ولا بدون؟
- هههههههههه.
- هههه أنت مدرِّسة لغة عربية ولازم أتحرى الدقة في تدوين قصتك.

وجدت نفسي أغيّر مسار الحوار بنكتة ليس لها علاقة بشيء لأخفف من وطأة الموقف وسررت جدًا عندما سمعت قهقهتها.

- لا تندهشي، فعلًا أنا تعبانة.
- ارتاحي شوي.. قبل ما تحكي عن تعبك.. كيف حالك؟
- ما بعرف كيف أبدأ.. عشت في بيت فوضوي، الصراخ هو الشيء المشترك بين أمي وأبي، تربينا على الصوت العالي. وعندما يعلو الصوت أكثر تنتهي المشكلة؛ لأن الجيران بيكونوا انتبهوا علينا. بيت ما فيه لغة حوار ولا منطق، ضعنا بين أُمّ ما بتعرف كيف تحب أولادها، وأب ديكتاتوري لدرجة تقهرك؛ بين أُمّ لا تحترم الأب وبين أب لا يقدِّر الأُمّ.
- عفوًا للمقاطعة، شو بيمثل لك أبوك؟
- الخوف. أني ضروري أكون مطيعة، وبدون صوت، طالما متوفر الأكل والشرب، وأربع جدران، هيك حياتي مكتملة، ولا ينقصني أي شيء. هيك منطقه. تمنيت أني أثق فيه مش أخاف منه، أتناقش معه مش أهرب منه. دايمًا يحكي البنت العاقلة هي اللي تفهم أبوها من نظرة.. البنت لازم تتربى على

الطاعة والاحترام حتى تعرف بكرة تحترم زوجها وتطيعه.

- طيب وأمك؟ شو دورها؟

- أمي كانت مصدر خوف أكبر لي، عشان تكسب أبوي وتتجنب غضبه، فقد كانت تسرب له كل أسراري حتى تحمي حالها من المسؤولية. كنت محتاجة لها كصديقة لكنها كانت بالنسبة لي أب آخر مخيف، يعني ضعفها وسلطة أبي دمروني، لم تكن لي أخطاء كبيرة، ولكن مثل أي بيت بشاغب، وبحاول أتنفس، لكن مشاغباتي كانت بالنسبة لهم هي نهاية العالم.

- كل بني آدم وله طيشه.

- كانوا يدركون هذا طبعًا، لكن بالنسبة لأولادهم الأمر مختلف وما في مسامحة، اللي بيغلط تسقط ورقته.

- طيب، وكيف زوجك معك؟

- قبل الزواج كنت أهرب من المشاكل وأهتم بقراءة الكتب، القراءة غيرتني وعلمتني كيف أتغلب على معظم مشاكلي، وأسيطر على قلقي.. صرت أفهم أمي وأبوي صح.. وحاولت أغير فيهم شوية، وأحافظ على أخوتي وأحتضنهم، وأجنبهم أي مشكلة تؤثر عليهم مثلي.. فعلًا القراءة والمطالعة ومعرفة تجارب الناس ومشاكلهم صنعت مني شخصية جديدة، مثقفة عصامية، عندي قناعاتي الخاصة وإرادة، وأهم قناعة تكونت لديّ أني لا يمكن أن أكرر نموذج أمي. كنت أتمنى أن أكون مختلفة تمامًا عنها.

- كل بنت بتحب تكون نسخة من أمها.
- إلا أنا، كسرت القاعدة.
- فعلًا، موقفك صعب.
- عملتُ في شركة واجتهدت وأعطيت روحي للعمل، أحد مدراء شركة أخرى رآني بالصدفة، أُعجب بنشاطي وإخلاصي، طبعًا أنا في بيتي لم أسمع كلمة تقدير واحدة، وعليه فقد وقعت في الفخ، رغم الثقافة والوعي و.. و.. إلا إن كلمتين حلوين كنت أنتظر أسمعهم من زمان كانوا السبب في ما يحدث معي اليوم.
- خير؟!
- من كلامه واهتمامه تخيلت أنه أحبني لاختلافي، ولهيك تقدم لخطبتي وتزوجني لأني مثابرة، بعد الزواج فهمت منه أني لازم أكون امرأة عادية مطيعة فقط، تخيلته مختلف وطموح، لكن عند الكلام عن الدراسة أو المنحة أو الكتب أو الثقافة يكون لامبالي وغير مهتم ويرد عليّ: أنت الآن متزوجة، اهتمي ببيتك ومسئولياتك وأولادك؟ بسرعة أدركت الفرق بين شخصيته قبل الزواج وبعده، وانهار كل الكلام الحلو أيام الخطوبة القصيرة مثل "أنا معك في كل خطوة للأمام و.. مالنا ومال الناس"!! طلع كل كلامه كذب وللأسف خُدعت وأسأت الاختيار.
- ورطة كبيرة بالفعل؟ طيب يبدو أنك استعجلت في الزواج؟

- كنت في سن 26 ومواصفاتي بعين الناس عادية.. لست فائقة الجمال، وصرت أسمع كلام أني كبرت، وما كنت أملك فرصة أفضل للاختيار وانتظار سيد سيده زي ما بحكوا الناس، ويمكن لأني تعبت من مشاكل البيت.. ويمكن إدماني على الكتب والروايات جعلني كأي فتاة حالمة، وغير واقعية، أرسم له صورة مثالية في خيالي، ولم يكن ذنبه أن الصورة والحقيقة لم يتطابقا، هاي غلطتي أنا، أوهامي وخيالاتي جعلوني أبتعد عن الواقع وأخفق لدرجة أني لم أرَ عيوبه، رغم أنها كانت واضحة، أو ربما رأيتها ولكني أنكرتها، ربما راهنت على تغييره بعد الزواج، ولكن النتيجة كانت إخفاقات متكررة؛ لأن هناك أشخاصًا لا يطمحون للتغيير ومرتاحين مع أنفسهم هكذا، ويبقى التغيير هدف المثقف والواعي فقط.
- هذه أصدق قصة أسمعها في حياتي، مشكلتها أنها...
- درامية صح هههههه. كل القصص الحقيقية ممتلئة بالدراما، الحقيقة فعلًا مؤلمة.
- وين مشكلتك الحقيقية يا سين؟
- الطموح.. التغيير.. الشريك الواعي والمتفهم الذي يساهم في تطوير الحياة.
- حاولتِ تغيري شخصيته حتى يشاركك في طموحك؟
- للأسف كان يقابل احتياجاتي بالسخرية والاستخفاف، المشاركة عنده ترف، وليست من الضروريات، شخص أهمل

كل مشاعره، شخص بلا انتماء، حياته تحولت للعمل والمال بسبب غلاء المعيشة، لم يهتم بأي مشكلة خارج حياته، فكيف سيهتم بمشاكلي واحتياجاتي؟ سأخبرك عن سبب انفجاري بعد صبر كل هذه السنين، بنت عمتي حصلت على الدكتوراه، وعملت حفلة وعزمتنا، يومها رجعت على البيت، وراجعت تاريخ حياتي كلها، وجدتني أمام زوج لا أعرفه، وثلاثة أبناء كأنهم مش أولادي، وكأني لم أتزوج بعد، حياتي فارغة ومهملة بدون تفاصيل تخصني أنا كسين، سألت نفسي عن ثمن الصبر والتحمل، عن عملي الذي تركته لأجله، بيتي وأولادي.. عن كم الروايات المكدسة على الرفوف والتي كنت أباهي بها صديقاتي، لماذا لم يعلمني أبي أن هناك نماذج أخرى غير نموذج "خلّفي وكبري، وعلمي وربي، وضحي واتحملي واتنازلي"؟ ما الإنجاز الذي عملته؟ أنجبت مثلًا؟ بنت عمتي صاحبة الدكتوراه أيضًا أنجبت وربت وعلمت؟ وأولادها واثقين من حالهم، وبيعبروا عن أنفسهم كويس، ومستقبلهم مبشر بالخير، مين يقدر يرجع الزمن، أنا أتنازلت عن المنحة والتعليم والطموح من أجل البيت والزوج والأولاد، والبيت ما أعطاني حتى الشعور بالحب والدفا، حتى أولادي وبيتي ما ملوا الفراغ اللي باحس فيه الآن. ولا أي كلمة ترضية ممكن تشفي جراحي. بعد فوات الأوان فهمت الدنيا، كنت نايمة وصحيت. كأني كنت مخدرة والسكينة سرقاني.

- تـأخرتِ كتيـر أعتقـد؟ وأعتقـد مـن كلامـك أنـه أمامـك قـرار مصيري؟
- تخيلي توافق إحساسي هذا مع خسارة شركته وإغلاق بعض فروعها بسبب أزمة الكهرباء، وعليه ظهرت بشاعته أكثر وأكثر في معاملتي، يعني أنا أتحمل البيت والأولاد في الرخاء، وأنتَ ما تتحملني في الشدة؟
- الرجال ممكن يفهموا أمور كثيرة، لكن الأمور المتعلقة بكرامة المرأة لا يستوعبوها، صعب يتخيلوا أنها ممكن تدمّر العالم في سبيل الكرامة، ممكن تتنازل أحيانًا عن طموحها واحتياجاتها، لكن عند الكرامة ممكن تتحول إلى مخلوق آخر صادم.
- الرجال بيتكلموا كثيرًا عن الرجولة، وممكن تبرير أي مصيبة بكلمة الرجولة، والمرا أيضًا يمكنها بسبب الكرامة أن تصبح النِمَّرة الجريحة التي تهدم كل شيء؛ البيت والزواج والأولاد.
- والحب؟
- حب مزيف.. فالصو، أنا الطرف الوحيد الخسران، الحبُّ مش هيرجّع لي سنين عمري، بقدرش أكمل وأنا مكسورة، وما بقي وقت أرجع أعمل شيء، أصلًا أنا مش أنا. مين أنا؟
- رجعنا مرة ثانية للبداية، أنت سين يا أختي، أقول يعني لو تخلينا قليلًا عن الدراما وكنا إيجابيين، يمكن الحياة تكون أبسط، والمصيبة تكون أقل، لكن يبدو أننا نفضّل دور الضحية؟

- وربما نفضل أكثر تبادل الأدوار. الأولاد يومًا ما سيتخلون عني، جيناتهم لأبيهم، وأنا قررت أسبقهم بخطوة. يمكن أقدر ألحق بكرامتي.
- يبدو قريبًا.
- قريبًا جدًا.
- صدقيني بكرة أكيد أحلى.
- هههههه.. شكرًا على القهوة وعلى رفعك لمعنوياتي.

خرجت سين من بيتي، وتركتني أواجه كمًّا من الوجع، ربما ليس وجع حياتها وقرارها المصيري فقط، بل هو ما أثارته فيّ أنا من ضرورة مراجعة حياتي، هل تكون الأم على خطأ، أم تتصرف بمنتهى العقلانية والحكمة حين تقرر إنهاء زواجها غير الموفق، والاكتفاء برعاية أطفالها وحدها؟ هل تكون على خطأ حينما تترك كثيرًا من شغفها واحتياجاتها في سبيل توفير احتياجات أبنائها ورعايتهم، ولو على حساب نفسها؟ صعبة هذه الحسابات الدقيقة والتي تصلح لبناء عمارة. يمكن حساب كميات الرمل والحديد والحجارة بسهولة ودقة، ولكن في حياتنا الإنسانية؛ فتلك الحسابات لا يمكن قياسها، فالمشاعر لا تقاس وليس لها موازين، بل بالحكمة والحدس والكثير الكثير من الحظ الطيب.

اللقاءات السابقة والمتوقعة جعلتني أقف لأتعرفَ إلى نفسي أكثر، ماذا أفعل؟ ما هي خطوط مستقبلي؟ لماذا أكتب؟ أسئلة كثيرة دارت في رأسي، وسببت لي شرودًا وقلقًا، وطبعًا كان ذلك يلزمه فنجانّ قهوة مضبوطة ومضبوطة جدًا. ومع رشفات القهوة سألت نفسي كثيرًا ما هو

أهم إنجاز ممكن لأي إنسان أن يفتخر به؟ هل هي الشهادات والعلم، أم العمل، أم وظيفة الأحلام، أم الصديق الوفي؟ شريك الحياة المناسب؟ الحبُّ الحقيقي؟ المال والبنون، أم المعرفة؟ أم راحة البال؟ أم لا شيء مما سبق!

أعتقد أن الجواب هو المعرفة وأيضًا الاعتراف والمكاشفة. أعترف أني منحازة للمرأة والأم، وأعترف أيضًا أن المرأة سبب كل شيء عظيم على وجه الأرض؛ لأنها نبع العطاء والتضحية، والحب والمسئولية، بينما الرجل هو سبب كل شيء مدمر على وجه الأرض؛ لأنه نبع اللاعطاء واللاتضحية، واللامسئولية والأنانية. فأنا ص أو س2 لا تشبه س1، أقطن في مدينة غزة بفلسطين ومحاصرة بها وفيها منذ سنوات طويلة، أُمّ لطفلة واحدة. أنا امرأة تعرف كل شيء، نعم كل شيء وبكل فخر، وأيضًا أعترف أني أمتلك الشغف. يااااه على الشغف، الشغف هو الذي حرضّني على هذه الكتابة، ابتدأ الشغف رحلته معي منذ اختيار أهلي لاسمي "نَهيل" بفتح النون، اسمي نَهيل... آه والله اسمي نَهيل. عندما صرختُ بأول صوت بعد الولادة في يوم قارس من أيام شهر فبراير: اسمتني أمي نَهيل، ومن يومها وأنا أعاني من لفظ الناس لاسمي. منهم من ينادوني "نهلة" وآخرون ينادوني "نهال" حتى اسم "مناهل" لم يسلم من عبثهم تجاهي، وعندما ينوون أن يمنحوا اسمي شرفًا فينادوني ب "نُهيّل" ومن هنا بدأت قصتي المريرة.

قبل سنة تقريبًا قررت التقدم لمنحة تفرّغ للإبداع في مدينة برشلونة في أسبانيا، تحمست جدًا للفكرة؛ تحديدا ليس فقط حتى أخرج من

سجن غزة، مثلي مثل الكثيرات، ولكن لعشقي التوَّاق لهذه المدينة، لما رأيته من سحر خاص بها من خلال أفلام السينما، وولعي بطبيعتها الخلابة وبساطة الحياة فيها، أجمل الحكايات وقصص الحب والروايات كانت هناك، دون كيشوت وما أدراك.. هي مدينة متنوعة، بسيطة وطبيعية، بعيدة عن بهرجة المدن العملاقة، ودائمًا يخبرني إحساسي: إنها مدينة تصلح جيدًا للكتابة والتأمل؛ لأنها ملهمة بطبيعتها ورغم اختلاف الثقافات، إلا أنه يبقى هناك شيء نقيٌّ وفريد. برشلونة فيها كل ما هو جميل؛ الفن والرياضة، والعمارة والأصالة والحضارة، والأكل الشهي، مزيج بل أمزجة من مزاجات متعددة، وعوالم مختلفة وشخصيات دافئة، الأفلام هناك ذات نكهة خاصة، الممثلات جميعهن بالنسبة لي هن "بينيلوبي كروز"، كم من الليالي والصباحات أيضًا أجلس بالساعات لأشاهد أفلامها، وأتغزل بها مثل أي شاب مراهق، أفلامها سكنت قلبي ووجداني بسحرها وتفردها، أسبانيا التي أعشقها تعني لي خوليو إجلسياس، وسلفادور دالي؛ يعني المتاحف والمسارح ودار الأوبرا والعمارة، وموسيقى الجاز والمناخ الساحر، والوجه الحسن.. مزيج ساحر بين الشرق والغرب.

طبعًا منحة التفرغ تستلزم تقديم فكرة تُقنع اللجنة، ثم توافق عليها، وبعدها أذهب إلى هناك لأنفذها في مدة يتم تحديدها، مع توفير الاحتياجات اللازمة للمؤلف؛ وأنا ليس لديَّ سوى مطلب واحد بسيط ومتواضع ألا وهو أن تترك "بينيلوبي" جميع أعمالها السينمائية وساعات التصوير، وتجلس أمامي لتلهمني في الكتابة؛ لأن مشروعي سيكون هو

التأليف لأني لا أتقن سواه، وقررت أن أكتب الرواية التي طالما حلمت بها.

أعشق الأفلام والحواديت وحياتي أصلًا أعتبرها فلمًا قصيرًا، بل طويلًا جدًا لدرجة الملل.

ولكن، ولأن كل قصة ممتعة يوجد بها هذه الكلمة اللعينة "ولكن"، فهنا ولتنفيذ هذا المشروع الحلم يجب أن نبحث عن فكرة فريدة، ثم إرسالها إلى اللجنة التي ستختصر عدد المشاركين في قائمة قصيرة، وبعدها يتم الاختيار، وكل رحلة البحث هذه يحكمها موعد نهائي إنه "الديد لاين" اللعين تمامًا كحياة المواطن الفلسطيني المكتظة بسلسلة لانهائية من المواعيد النهائية.

بعد أن جلست مع نفسي، وشربت كل فنجان القهوة، قررت أن تدور فكرة روايتي حول نموذج من النساء، ليس لأني امرأة، ولكني طالما اقتنعت بقدرة النساء في كل شيء، المرأة هي الملهمة بالنسبة لي خصوصًا نموذج المرأة القوية المستقلة، ومن هنا بدأت رحلة البحث عن ملهمة.

لقد أخذتني قصص تلك السيدات اللواتي التقيت بهن إلى أفكار أخرى لم أتوقعها، بدأت أشعر بالشك أن من قابلتهن لسن النماذج التي أحلم بها أو أتوقعها.. ربما لم ألتقِ الملهمة بعد؟ لا أعرف بالضبط ولكني سأكمل واللي يحصل يحصل.

بنفسية تتراوح بين الحماسة والتعب التقيت بها، وهذه المرة اتفقنا أن أزورها أنا في بيتها، ورغم ترددي في دخول بيت لا أعرف أحدًا فيه

معرفة شخصية مباشرة، إلا أنني كمجنونة رسميًا رأيت أنها - أي تلك الحركة - من ضرورات الجنون الجميلة التي أستمتع بممارستها من حين لآخر، تلك الفوضى العذبة التي تجعل للحياة روحًا ومعنى.

بيت هذه السيدة لحسن الحظ كان قريبًا من بيتي، مشيت خمسة دقائق تقريبًا، وسألت شخصين فقط عن المكان حتى وصلت. بيت من طابقين تسكن هي في الطابق الثاني، والطابق الأرضي ساحة مظلّلة ومسوّرة مع بعض الأشجار جوار السور، وهناك أطفال كثيرون يلعبون في الطابق الأرضي. في مدخل البيت صادفتني فتاة صغيرة مسرعة، لم تتوقف حتى لتنظر إلى وجهي، وكأنني ما زلت في الشارع، فارتحت قليلًا لأن البيت معمور، وليس هناك ما أخاف منه. صعدتُ إلى أعلى، درجات مكسوة بالرخام مع غبار كثير على الدرج وأصيص نمت فيه صبارة ترفع أذرعها تستنجد الماء. وجدتها تنتظرني، سحبتني بسرعة نحو غرفة الضيوف، ورحّبتْ بشدة، وتركتني وخرجت لتحضر شايًا وبسكويتًا، وتركتني أتفحص المكان. شممت رائحة رطوبة في الغرفة كأنهم لم يستقبلوا ضيوفًا منذ زمن، نظرتُ إلى السقف المزين بالجبس، ثم إلى الرفوف الجانبية فلمحت عليها كتبًا متنوعة. عادت وهي ترتدي ما نسميه ثوب الصلاة؛ قماش فضفاض من قطعتين، فلا يشفّ ولا يصف، ولكن له استخدامات كثيرة لا علاقة لها بالأمر الذي صُنعت من أجله، فارتداؤه يستغرق ثوانيَ قليلة وخلعه كذلك، لذا فهو عملي جدًا، ويُستخدم في حالات الطوارئ، كوصول ضيف غريب فجأة، أو لخروج صاحبته من البيت بسرعة للحاق ببائع متجول، أو لنشر الغسيل على الشرفة، وحتى لا يرى شعرها أحد من

الجيران. هو ثوب الطوارئ والصلاة في آن. لا يوحي وجهها أن لديها ما أبحث عنه، فهي ضاحكة مبتسمة نشيطة لا تكف عن الحركة، تضرب كفها بكفي لسبب أو من غير سبب، لذا فقد بادرتها بالسؤال:

- اسمك وسنك وعنوانك؟
- هو أنا المتهمة؟
- لا، أنت الملهمة، والملهم برئ حتى تثبت إدانته.. قصدي حتى تُكتب روايته.
- شو جو أفلام الأكشن المصرية هادا؟
- البحث عن ملهمة أصعب بكثير من البحث عن مجرم في جريمة قتل، وبما أننا سيدات فالمجرم ضروري يكون رجلًا.
- ما أنا قلت أفلام وأكشن.
- عندك اعتراض؟..، سألتها بمرح.
- أنا نورانية رحبة سخية، كأني خرجت من بين أوراق رواية لـ "غويا" أو من عمق لوحة "لتولستوي".
- قولي والله!! أولًا تولستوي روائي مش فنان، وغويا فنان ومش روائي، ثانيًا الجملة من رواية محمود مرزوق "مقتل بائع الكتب". صح؟
- يا ألله، كيف عرفتِ؟
- حظك الأسود أني كنت أقرأها أمس، بعدين أنا اللي قدامك مؤلفة ولست خاطبة؟
- طيب أسرد لك كتاب كفاحي؟

- كفاحك ولا كفاح هتلر؟
- بصراحة أنا سهرت، وقرأت كام كتاب وأنا أستعد للمقابلة، لكن الظاهر أنا انكشفت من أول جملة.
- يا ستي غزة صغيرة، وصدفت أنه نقرأ نفس الرواية بنفس الليلة.
- مممممم طيب شو رأيك أقول لك جملة من ديوان شعر، من اللي يفوح الورد والعطر، ويندس التاريخ بعبق الماضي، وسرت في أوصالي رعشة خفيفة و...
- يا ستي ألف شكر على مشاعرك الجياشة واستقبالك الظريف، أنا رأيي نترك الحفظ ونتشبث بالفهم، ممكن أعرف لماذا اعتبرتِ نفسك بطلة في روايتي؟
- زواج عن حب.
- بداية غير تقليدية، هذا أول فصل في الرواية.
- الحقيقة اكتشفتها بعد الزواج، اللوم والندم أصبحا جزءًا من حياتي، هو تغير جدًا بعد الزواج، وأنا مش عارفة أتغير، هل كان زواجنا خطأ؟ كنت مغرورة، وتقدم لي عرسان بالجملة، وأنا للأسف اخترت الأسوأ. مع أن أهلي دايمًا كانوا يتهموني بخياراتي الفاشلة ولم أهتم.
- كثرة الخيارات مربك، العبقرية في الاختيار السليم حتى مع الخيارات المحدودة، الاختيار رفاهية لا نملكها، فنرضى بالمتاح، ونبوس أيدينا وجه وظهر.

- على فكرة أنا اللي المفروض أحكي.
- آسفة، تفضلي.
- يعني أقصد أنها ليست أزمة اختيار لكن الناس صارت تبحث عن أمان وليس عن حب.
- كيف يعني؟
- يعني لما البنت في هذه الأيام السودة في غزة والحصار والحروب يقع بين يديها عريس تمسك به بإيديها وأسنانها لأنه ربما لا تجد فرصة غيره. البنت عايزة الأمان بأي طريقة. الكل يهاجر، الكل يروح ولا يرجع، حصار ورا حصار، لكن على أيامنا كان العكس؛ كان اختيار من متعدد.
- مبسوطة معه؟
- لا مبسوطة ولا مش مبسوطة، مشكلتي معه في الإهمال، لا هو فاضي يهتم، ولا أنا مستوعبة حياته، ما في شيء يقتل العلاقة قدر الإهمال. أشعر أني أذبل كل يوم عن الثاني، لما يكون عندك في البيت شتلة سواء مزروعة في الأرض أو في قُوَّار، ولا تسقيها يوميًا تذبل؛ فما بالك بالبني آدم اللي من لحم ودم.
- شتلة وقوّار؟ حرام عليك في ناس ناوية تقرأ هذا الكلام، اسمها نبتة وهو اسمه أصيص. مش شايفة يعني النورانية والرحبة والسخية. وبعدين ليه ماعندكم خرطوم ماء؟

ضحكت وقد وصلتها النكتة، وضربت كفي للمرة الـ... لم أعد.

- موجود بس يبدو أن المشكلة في الماء عندنا؛ دايمًا مقطوعة.

- فهمت قصدك، لكن كأن الأمور صعبة مع أني شايفة بيتك جميل، ما شاء الله؟
- أمورنا كانت ماشية، بس مش ذنبي أن المصنع صار يوم عن يوم يخسر بسبب الأزمة الاقتصادية، وخصومات الرواتب؟ زمان كانت الأسرة تأخد كل أثاث بيتها من المصنع، الآن الكل بيشتري لكن بالتقسيط، أو قروض. صاحب المصنع اعتبر زوجي نحس، وغيّر مكانته إلى رتبة موظف بعد ما كان نائب المدير. ومن بعدها كل شي تغير للأسوأ. وأنا بدأت أعيد حساباتي، الأزمة الأخيرة بخّرت من ذاكرتي كل شيء جميل عشته معه. مكتبة .. سُر مَن قرأ
- حاول يعوضك بالاهتمام، أقصد العطاء المعنوي؟
- الاهتمام والعطاء ممكن يجعلوا أي زوجة ملكة. والمشكلة أنه زي ما هما دواء كمان ممكن يكونوا داء.
- كيف؟
- يعني دواء إذا وصلوا بدون طلب، وما بيعطيهم إلا الزوج لما يكون برتبة حبيب، وبيكونوا داء لما ينطلبوا، وقتها ليس لهم معنى ولا قيمة وبالناقص منهم، لأنهم بيكونوا مشوهين لما تطلبيهم، تاريخ الصلاحية في غزة للسعادة الزوجية فقط سنتين بعد الزواج وبعدها يتفشى الروتين. نفسي أحس بمشاعر الحبيب، لكن هو لا يقدم إلا مشاعر الأب والأخ، أنا ما حبيت طول عمري ومن حقي أعيش هذا الشعور مع الرجل اللي

اخترته، صحيح عندي بيت وأولاد، ورجل ولا مرة نام خارج البيت لكن نفسي أحس فيه، نفسي أشتاق له، ومش ضروري يسافر عشان أشتاق، بس كمان نفسي أحس باللهفة اللي بيحكوا عنها، المفروض فيه شغلات بس بتنحس وما بتنقال، وإذا طلبتها بيصير مالهاش قيمة...

- الله يمسيكي بالخير يا نانسي عجرم.
- هههه تقدري تقولي أنه يعرف عن عماله ومصنعه وعملائه، وسند القبض والصرف والمستورد والمحلي أكثر ما بيعرف عني وعن أولاده وعن بيته.
- مصنعه؟ عماله؟ هو صاحب مصنع، ولا موظف في مصنع زي ما فهمت منك؟ أنا ارتبكت؟
- يا ريت، هو موظف عند المدير، لكنه عايش في دور يد المدير الشمال.
- أنا أسمع عن اليد اليمين.

ضربت كفي هذه المرة فأوجعتني، وهي تقهقه حتى كاد رأسها ينقلب خلف الكرسي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- المدير أصله أيسر.
- جديدة والله.
- مشكلتي لها علاقة بالروح، لكن كيف أفهمها له، عايزني أكون ترس في ماكينته اللي بيشقى فيها ليل نهار وعلى الفاضي؛ لا الحياة صارت أحلى ولا أسهل، تعب وملل واليوم زي بكرة،

والأسبوع هذا زي اللي جاي، والسنين بتجري، أحيانًا أقول أني أستحق شخصًا أفضل منه، مع إني عشت معه 18 سنة وسنة ورا سنة، ومتأكدة أنه الـ 18 سنة اللي جاية ستكون نفس الروتين ولا شيء سيتغير. لا أنا ولا هو ولا شكل علاقتنا، حاجة وحدة بس اللي تتجدد مع كل سنة.

- أهاا؟

- الندم، الندم أني ما أخذت قرار الطلاق من أول سنة، هذا الشعور يلازمني 24 ساعة، وصار حملًا كبيرًا على ظهري، هو مش فارق معه لأنه كان يبحث عن زوجة أصيلة، ومن عائلة محترمة ينجب منها أولاد، وتصون أولاده وبيته، أنا حساباتي كانت مختلفة، والظاهر كنت حالمة، كنت أبحث عن حبيب، يسألني عن حالتي النفسية، يناقشني في كل شيء يخصني يكون فعلًا شريك رحلة وحياة، يضيف لحياتي مش بس يأخذ منها. بكل هذه المعادلة أنا أكثر واحدة خسرانة من استمرار الزواج. تصدقي يمكن لو جمّعت كل كلامه معي من يوم العرس يمكن ما يكمل ساعة إلا ربع.

- هو أخرس؟

- بالعكس ثرثار، لكن عند الكلام في المشاعر والاهتمام بيكون أخرس وأحيانًا متلعثم، أي واحد عديم الإحساس الأخرس أحسن منه، الناس بتحسدني على مساحة بيتي، والشمس اللي من كل ناحية، بس أنا دايمًا حاسة بالبرد وكأن السنة كلها شتا.

- إحساس الدفا مالوش علاقة بالمساحة.. ممكن بِحّبك وما بقدر يعبر عن مشاعره؟
- بس أنا محتاجة أسمع كلام يطمني كل فترة ويحسسني أنه شايفني.
- أحيانًا 4 حيطان تعطي إحساس بالألفة لما تكوني مع واحد بتحبيه، كلنا معرضين للاختيار الخطأ. السعادة نادرة فعلًا.
- وجع الروح أصعب من وجع المفاصل والأسنان بس الروح خرسة، وما بتحكي فما حد بيسمعها، أحيانًا بأصفن وبسأل حالي، ليش الأطباء حتى الآن ما اخترعوا مؤشر أو تيرمومتر لوجع الروح والقلب والمشاعر، يعني إذا روحك بتوجعك من الإهمال والتجاهل بيطلعلك في وجهك حبوب حمراء وإذا مشاعرك نشفت من قلة الأحضان والعطاء تصل درجة حرارتك إلى 40 مثلًا، ووقتها بيكون من السهل تعرفي حرارتك بالتيرمومتر بس بأرجع بأصفن صفنة أطول، وبأقول هما ممكن يخترعوا مؤشر المرض بس العلاج كيف ممكن يخترعوه، فبرجع وبقول منيح أنو فش إشي من هذا وأنها مجرد خيالات.
- كلامك خطير أنا بدأت أتخيل اللي بتحكيه، ولو اتنفذ حنطلع كلنا بأمراض نفسية ماشية على الأرض. خليها بدون مؤشرات ودلالات، الناس ماشية تخانق في بعضها، وطول الوقت طوابير في المخابز بتشتري معجنات من شدة الاكتئاب.

- الغريب أن زوجي معاملته معي زي أبي مع أمي، وأنا متأكدة أنه بكرة زوج بنتي سيكون من نفس العينة. كائنات موجودة بس للتكاثر، ما هي المشكلة أن الطفل وهو صغير يتعود يشوف أبوه بيبوس جبين أمه قبل ما يطلع شغله؟ بوسة تقدير واحترام، ويتعود يعمل زيه بكرة مع حبيبته؟ علمونا أن إظهار التقدير والاحترام والحب عيب أو قلة رجولة، مع إن الرسول كان يعملها مع زوجاته، وأهلنا بيعتبروا هذا التصرف نقص في الرجولة!! هل الحب فقط لما يتسكر عليهم الباب؟ هذا تخلف وهمجية. كل البنات هم أول ضحايا نموذج الأب الشرقي، اللي خايف يحب ويعبر عن حبه. هل إحنا بس موجودين عشان نعيد المأساة ونكررها، صرت أحس أنه السعادة الزوجية شيء أسطوري ومعجزة.
- طيب وأنت ما حاولت تغيير الواقع؟
- طلبت كثير أنه نغير جو، نسافر، نجدد حياتنا، نكسر الروتين، لكن دائمًا يردد أني مراهقة وطائشة. ذنبي إني ارتبطت بشخص أكبر مني بـ 11 سنة، حسبتها غلط قلت: أتجوز الرصين العاقل اللي مجهز نفسه، ومعمر بيته، بدل ما أقعد طول عمري بين الأقساط والقروض، بس طلع عمري هو اللي أدفعه بالتقسيط. أتمنى من الله إن بنتي ما تغلط غلطتي؛ راح أنصحها تأخذ الطائش المجنون، عشان يخلي لحياتها معنى وطعم، بصراحة ظلمت حالي لما تجوزته، نوع من الهروب من

العائلة، والتي كانت علاقاتي معهم "وايرليس". طول عمري متمردة مع أهلي، وحتى الآن "واتساتهم" ملغية عندي.

- "الواتس" اللي يجيك منه الريح سده واستريح، اتركيه يمكن ترتاحي.
- الواتس؟
- لا، زوجك.
- صعب، أولادي وبنتي على وجه زواج، ولازم مسلسل التضحية يكمل، وفي الآخر واحد بس اللي يدفع الثمن، وكأن عذابه طول هذه الرحلة ما كان كفاية.
- الله يخليكم لبعض. قبل ما أنهي في شيء بنفسك؟
- ليس لدي أقوال أخرى، ولكن لدي أوجاع كثيرة، طابت ليلتك.
- طابت؟! أنا ليلتي خلاص مرضت. صحيح ما قولتيلي شو اسمك؟

ضحكت ضحكة طويلة جدًا جدًا وقالت: اسمي صافيناااااز.

#بوست_اليوم

"إذا لم يشك شخصٌ واحدٌ أسبوعيًا بأنك مجنونٌ، فأنت لا تُحدِث تأثيرًا حقيقيًّا في هذا العالم".

روبين شارما

3

في طريق عودتي السريعة إلى بيتي كنتُ كمن يهرب من شخص يلاحقه، تلاحقني أسئلة كثيرة وأود لو أهرب منها. عصفت برأسي الحيرة حيال هذه السيدة والسيدات اللواتي التقيت بهن من قبل. بصراحة، ولكي أكون موضوعية وأسجل الوقائع بصدق وأمانة، كان لابد من سماع الرواية من الطرف الآخر: الزوج.

لم أجد في ما سمعت منهن غير اللوم والعتاب، وإلقاء المسؤولية دومًا على الظروف والرجال، وربما كان هذا صحيحًا إلى حدّ ما، وهو ما يتفق مع ميولي وفكرتي في معظم الأحيان. لكن ربما كان هناك أسباب تتحملها المرأة أيضًا بسوء الاختيار، وعدم اتخاذ القرارات المصيرية في الوقت المناسب. الشك في أني العارفة بكل شيء بدأ يقلقني، بدأت أشياء أخرى في الحياة تهز اعتقادي المطلق بأن المرأة كائن يمكنه فعل كل شيء.

في الطريق تلقيت اتصالًا من كاميليا بعد غياب، لم أردَّ رغم اشتياقي الكبير لها، فبعد قليل سأكون في البيت وسأكلمها على الماسنجر. ثم إن مزاجي العام لن يتقبل الآن ممازحات صديقتي المقربة، فالموعد النهائي يقترب دون أن أنجز شيئًا، أو حتى ألتقط طرف خيط من مشروع المنحة الذي أعمل عليه.

تسارعت خطاي نحو البيت، وحين وصلت ألقيت بحقيبتي وجهازي المحمول وأوراقي على أول كرسي وارتميت على السرير، وتمنيت لو أنام رغم أن الوقت كان عصرًا. لكن هيهات، فلقد استمر طنين الجهاز الممل. نظرت إليه بغيظ وكدت أن ألقيه على الأرض، لولا أنني تذكرت أنها كاميليا فقررت الرد، وجاء صوتي حادًا:

- نعم يا قدري ونصيبي.

هنا كسرت لحظة العقلانية والجدية التي تراودني.

- نهيل.. ما لك عصبية.. اليوم 5 فبراير!!
- يعني يوم النكد العالمي!!
- الله يسامحك، اليوم عيد ميلاد النونة حبيبتي، عيد ميلاد صديقتي وأختي ورفيقة عمري، والسنين المرة اللي عايشينها من أيام الانتفاضة.
- معي خبر يا روحي، هي الانتفاضة حاجة تتنسي، من يومها وإحنا منتفضين ومقلوبين على حالنا.
- كم صار عمرك الآن بتوقيت غزة العزّة؟
- شكلك بتستفزيني؟!! عمري من عمرك والبادي أظلم.
- قصدك القادم أسوأ. المهم شو قدمت لك أمك هدية؟
- كالعادة بيجامة، حطتها على التسريحة اليوم الصبح، كأنها بتحط لي كاسة شاي، وقالت بحكم العادة كمان سنة حلوة يا ماما، وطلعت من غير ما عينيها تيجي بعيني، وكأنها بتهرب مني، وفعلًا كان يوم واضح من صباحه.

- بركة والله إنه في حد اتذكرك، ولو حد أتذكرك بيتناسى لأنه ولا حد معه سيولة للهدايا يا نونتي.
- معك حق، المناسبات الآن عبء ثقيل على الكل، حتى أختي اختصرت المشوار وأرسلت هديتها لي مع ابنها.
- شو هديتها؟
- بيجامة.
- لأ!! ومين كمان قدم لك بيجامة؟
- كمان بيجامة من جنات جارتنا اللزم.
- لأ..؟ مش معقول! بتحكي جد؟! شو قصة البيجامات معك؟! هو أنت راح تنامي 24 ساعة؟
- البيجامة هي الزي الرسمي والمعتمد لصبايا غزة خارج ساعات العمل الرسمية. ثم أنت ليه بتحكي معي ماسنجر وتشات، وأنا لو فتحت الشباك راح أشوفك في وجهي؟ المهم.. أنت اللي فهماني صح شو هديتك لي؟
- لا.. أنا هديتي لك مفاجأة رهيبة؟ يلا تخيليها لحد ما أوصلك؟
- خير؟ فاجئيني.. لا شوقتيني.. ما بدي مفاجآت.
- طبعًا بيجامة.
- مممم مممم تعرفي معهم حق أمك وأبوك أنهم جوزوكي هنا وهاجروا. طيب تعالي زي كل سنة وهاتي معك التورتة عشان نحتفل سوا أنا نص وأنت نص مش أنا عيلتك؟.. لا تتأخري.

- المسا أنا جاية لعندك.. حأنام ساعة وأرتاح.. بس لا تغيري عنوانك.

حاولتُ أن أنام، فلم تغمض عيناي من التفكير في يوم ميلادي والذي سيمر عليّ كأيّ يوم عادي، وكل محاولاتي أنا وحبيبتي كاميليا لتغيير الجو أو تلطيفه ستذهب سدى. كاميليا السعيدة وبدون مبرر، هل كان فعلًا اليوم العالمي للقلق؟ لكن معظم الاتصالات والتبريكات التي وصلتني عبر الماسنجر طيرت فكرة النوم تمامًا. فقد اتصل بي طه من القاهرة وفادية أيضًا من الضفة الغربية، ودردشنا بكلام له لزوم، وآخر لا لزوم له.

- اليوم عيد ميلاد مين؟
- طه فيس بوك؟
- على فكرة الفيس بوك مش والدي.
- بعرف بس هذا اسمك الحركي عندي، وين هالغيبة؟
- أنا موجود.. أنت اللي من شهرين خارج التغطية.
- معك حق والله. مشغولة في موضوع المنحة ورايحة جاية مشاوير متعبة. بالمناسبة زوجتك عاملة أيه؟
- مراتي زي ما هي في الشغل ليل نهار، وأنا كنت في إجازة وتقريبًا خلصت، عندي كم "لوكيشن" حأبدأ فيهم تصوير، بس مطلوب لوكيشن مودرن وده مش لوني.
- بعرفك قديم طحن، وبتموت في الكلاسيك، من زمان حكيتلك أنت محتاج إعادة تصنيع.. إعداداتك محتاجة للتغيير يا بني.

- سيبك مني ليك عندي مفاجئتين، الأولى هدية معنوية والثانية مادية.
- واااو هات لي المادية.. الأهم بالأول.
- لأ مش حأقول، قلت لك مفاجأة. المهم كل سنة وانت أجدع وأرق وألطف أخت في الدنيا، وسنتك فل إن شاء الله والهدية محفوظة، عارفك بتموتي بالهدايا.
- طيب يلا أديها تسعيناتي.

لا أعرف كيف تلفظت بهذه الجملة والتي غيرت مزاجي المتقلب تمامًا، فما أن بدأ طه في الرد عليّ حتى غادرت مكاني وبدأت في الرقص والغناء وحدي في الغرفة.

هو: لولاااا كي.

أنا: لولا لولا لولاااا.

هو: والله ما حبيت.

أنا: طب خُد دي.

هو: الحلوة أم الضفاير... الشوق بعيونها طاير.

نسيت وجود صديقي وخارج حدود الشاشة.. رقصت بلا نية مسبقة، سمع صديقي صوت الموسيقى والتزم الصمت.. انهيت جنوني وعدت لاهثة إلى مقعدي، وكأني كنت برحلة خارج الفضاء وجدته ينتظرني، وكأنه تركني لجنوني المتوقع، ولكي يخرجني من لحظتي القلقة قال لي: خلاص يا نهيل أنا قررت أجيبك هنا على القاهرة.

- على القاهرة؟! شو أعمل!! أنا غزة اللي كم متر مربع انولدت فيها وعشت عمري، ولم أعقد معها مصالحة.. تفتكر مصر الطويلة العريضة محتاجة كم عمر من عمري حتى أفهمها وتفهمني؟
- إحنا أولادها كمان مش فاهمينها.
- الزائر دائمًا متورط، ولازم يفهم ومحتاج خبرة حياة مختلفة حتى يقدر يتأقلم.
- أصلًا مجنون اللي بحاول يفهم الدنيا.
- تعرف يا طه أنا أتوقع أني أفهم دول أوروبا أكثر من مصر، لأن كل شيء فيها مرتب وماشي على المسطرة، وكل واحد عارف شو بده، يعني ما في بقاموسهم مش قصدي، أو كان نفسي، أو كان في بالي... بتتعب أول سنة وبعدين بتكون حفظت نظامهم، وبتعيش باقي عمرك ماشي "توماتيكي توماتيكي" زي ماكينة الإسبريسو، نفس المقادير، نفس الطريقة، نفس الكمية، نفس المذاق.
- أنت اليوم مش نهيل.. فيك حاجة مش تمام.
- فعلًا أنا ميتة من الجوع، والنعاس، والتفكير.. خلينا نحكي جد. لا تقلق عليّ أنا هنا أكتب وأشتغل وأربي بنتي ويكفيني أني في حضن أهلي وأصحابي.. مش محتاجة لشيء أدور عليه خارج غزة.
- والحرية؟!

- الحرية كلمة مطاطية وأغلب اللي أخذوا حريتهم، أو ظنوا أنهم أخذوها لم يستمتعوا فيها، وكانت نقمة عليهم وماتوا من الملل.. لأن الحرية مش في المكان.. الحرية في التفكير والتمرد على الخوف اللي جوانا.
- النضال من أجل الحرية، الرحلة هي العِبرة وليس الوصول.
- الخيميائي باولو كويلو.
- أنا نسيت أنك مجنونة كتب.
- وجناني ده عين العقل.. العقل ده داء بيعيي.. وجناني ده شيء مش سهل.. تقدر تتجنن زيي.. أنا أحب أسهر للصبح وعمري وعمري ما روح بدري.

عدتُ إلى الرقص والتمايل على ألحان أغنية مدحت صالح وشريف منير وأنا مغمضة العينين، ونسيت وجود طه على الماسنجر يكمل حديثه مع نفسه، يكتب دون ردود مني. كنت أرقص لأقصي عن روحي وجع أولئك السيدات المعذبات اللواتي التقيت بهن، وأن أستمتع فعلًا بما تبقى من يوم ميلادي. وكانت كلماتي مع طه عن فهم الحياة، والحرية تتصاعد في رأسي كغليان القهوة. هرعت للرد على طه الذي بقى مسترسلًا في جو التسعينيات.

- مخلوق رافض للنصح.. والعمر بقيسه بسهري.. وبصاحب كل الخلق.. البيه صاحبي والفقري.

طه إنسان جدي وصاحب لكل خلق الله لذلك أعتبره فعلًا صديقًا مقربًا فالصداقة الحقيقية نادرة هذه الأيام

- ترن ترن ترن ترن... كل سنة وأنت متألكة يا نهيل.
- أووه فادية واتس أب مرة أخرى، إحنا أنهينا علاقتنا أكثر من 15 مرة يا فادية.
- آه، لكن اليوم عيد ميلادك، وبكدرش أكعد زي الأطرش في الزفة بدون ما أعايدك، يعني الحك عليا اللي اتذكرتك
- الحك عليا!! ليه زعلانين من حرف القاف دايمًا؟
- بتتريكي على لهجتنا يا نهيل؟
- أعتقد أنه عيد ميلادي، ويحق لي ما لا يحق لغيري، وأعتقد أنك تروحي من هنا قبل ما نقطع علاقتنا للمرة الـ 16 وخلينا حلوين مع بعض.
- وبعدين معك يا نهيل؟ غيري طبعك يا حبيبتي.
- يا فادية إحنا من سنتين اتعرفنا على بعض، واتخاصمنا 150 مرة. ممكن لأن الكهرباء ما بتقطع عندكم زينا لهيك روحك طويلة مش في مناخيرك.
- تنسيش أني من بلدك، الناصرة بلدك الثاني زي غزة وكلنا في الهوا سوا.
- عمومًا مش موضوعنا، أنا لسه زعلانة منك.
- يا نهيل ما زهكتي زعل وحرد وكفش.

- آه.. أنا حرة، بدي أقفش وأحرد وأزعل وغصب عنك بدك تصالحيني وتدلعيني، وأصلًا ممنوع تزعليني، يلا أعملي أجواء فرح وفرفشة.
- ليش؟
- أنا محاصرة في غزة ويجب تدليل المحاصرين.
- أنتِ المحاصرَة وأنا من الناصرة. حلوة صح؟
- لا خفيفة.. بجد بجد.
- لو ما في حصار كنا التكينا.
- لو ما في حصار كان ما اتعارفنا، تعالي زوري غزة مع وفد المتضامنين المسعفين الممولين المتنيلين أي حاجة فيها يبين.
- يا ريت يا نهيل، آخر حد وصلكم من أراضي الـ 48 كان في سنة 2002، ياريت تيجي أنت عندي.
- لا. لا.. لا يمكن أشوف الكلام العبري، فيه أمور لا يمكن أتحملها واتعود عليها، وأخاف أقمع مشاعر الغضب.. ألف مرة أقول لك حيفا ويافا من زمان اكتفينا نشوفهم في الصور بدون لافتات عبرية. بأشوفك لما يتحقق حلم العودة المستحيل.
- لو تبطلي عصبية.
- الحصار أخرج أبشع ما في داخلنا، الناس هنا بتتخانق مع بعضها، ولولا أني بحاول أضبط نفسي كان من زمان تخليت عنك يا فادية القلب أنتِ.

- نهيييييل كل سنة وأنت مطلعة روحي.
- آمييين قولوا آمين يا جماعة.
- مين الجماعة كل البني آدمين ناموا ما ظل إلا أنا وأنتِ.
- معناتو يلا تصبحي على خير.

عدت إلى مراجعة حديثي مع فادية وأنّبتُ نفسي لأني كنت مُستفَزة ومضغوطة وأفرغتُ قلقي في حواري معها. هي صديقتي وتتحملني وتحرص على صداقتها معي دائمًا، ولكن يبدو أني قد أثقلت عليها اليوم كثيرًا.. يا ربي ماذا أفعل وموعد المنحة يقترب، ولم أنجز شيئًا ولم أقترب حتى من فكرة الرواية، والأسوأ أني لم أعد على ثقة في موقفي من كتابة الرواية أصلًا وانشغل تفكيري بتلك المقابلات والقصص، والوجع الذي وضعته كجبل فوق رأسي.

4

- إنتِ من؟
- أنا أغاثا كريستي.
- مستحيل؟! أغاثا كريستي ولابسة جلباب شرعي؟!
- نعم.. لأني في غزة.
- جميل والله!! عمومًا الجلباب مش موضوعنا تعالي هنا لي عتاب معك يا كريستي.. أنت مستمرة بالكتابة وإحنا مستمرين بالرعب، ومغرمين برواياتك البوليسية، والأصعب من هذا الكلام أنه تتحول رواياتك لأفلام وإحنا نقعد نجري أكثر وقلبنا يوقف أكثر، إحنا استهلكنا الاحتياطي العالمي من الاكسجين من ورا رواياتك..
- مممممممم.
- أنت هلأ في غزة؟
- نعم عبرت غزة.
- معبر رفح ولا إيرز قصدي معبر بيت حانون.
- لا، تنسيق.
- عايزة أسألك عن شيء قبل ما تمشي.
- يلا بسرعة أنا مستعجلة.

- صح إنت قلت في روايتك "البيت المائل" على لسان أحد أبطالك، واللي للأسف تحول إلى فيلم "أن العالم بأسره سيصبح ناعمًا بعد الحرب"؟
- صحيح.
- لأنه كلامك صحيح 100٪ وإحنا صرنا بعد الحروب الثلاثة رخويين مش بس ناعمين.
- شو يعني رخويين؟
- يعني لزجين زي الفازلين.

.....

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

وقبل أن يأتي الشياطين الثلاثة عشر والمغامرون الخمسة ورجل المستحيل، استيقظت من النوم وأنا مفزوعة، ولم أشعر إلا وصوت آذان الظهر يعلو من المسجد القريب. كان يومي مكتظًا بالمواعيد، ولكني قمت بتكاسل شديد كل مفاصلي تؤلمني، وكأني كنت في عراك طوال الليل.. أنزلت أقدامي من السرير بصعوبة، وأكملت فطوري وارتداء ملابسي وكأنه يوم إجازة، وخرجت. ربما ألحق موعدًا مع لقاء إذاعي تذكرته بالكاد، كانت قد ورطتني به إحدى صديقاتي. وأشرت لأول سيارة أجرة. لم يكن مزاجي مستعدًا بعد للاستماع إلى هذا الحوار المكرر يوميًا مع السائق فاضطررت للاستماع:

- زمان لما كنا نشتغل في إسرائيل كان لازم يكون السواق لابس ومتلبس ومتحمم.

- نهاااار أسود تاااني إسرائيل عمو نزلني...
- ولابس بوت رياضة، وكاتب كل بياناته على جنب الراكب.
- عمو.....
- شو ذنب الراكب يركب مع سواق شعره واقف زي شباب اليوم، وقصات وجيل وواكس.
- عموووووو.....
- بنشوف مناظر غريبة، محدش بيراعي نفسية الراكب.
- نفسية مين؟
- نعم يا عمي إنت وين نازلة؟
- أنا المفروض نازلة من ربع ساعة، وأنت بتحكي ومش سامعني.
- يعني كنت وين نازلة؟
- كنت نازلة من ساعة البوت الرياضي.
- طيب يا عمو كان رفعت صوتك.
- يا عمو كنت شوية وأصرخ وألم عليك الشارع، مش أنت قلت لازم نراعي نفسية الراكب؟
- آه طبعًا... زمان وأنا شغال في إسرائيل...
- عمووو مشان الله نزلني، أقولك حأكمل المشوار مشي أصلًا الرياضة مفيدة للصحة وأنا كراكبة بسيارتك نفسيتي اتدمرت.
- شو بتقولي يا عمو؟
- نزلنننننني.
- مش سامع.

طبعًا أكملت مشواري مشيًا على الأقدام باتجاه مبنى المحطة الإذاعية وأنا أدندن أغنية "يا جماعة يا جماعة، كل يوم عاملين إذاعة" تتر مسلسل "عائلة الأستاذ شلش" ووصلت إلى الموعد متأخرة واعتذرت دون أن أوضح أسبابي؛ لأنها صارت عادة مكررة، ولحسن الحظ كان موعد البرنامج قد تأخر وتقبلوا اعتذاري. وخلال دقائق كنت على الهواء مباشرةً.

- أعزائي المستمعين بمناسبة عيد الأم لدينا اليوم لقاء فريد من نوعه من برنامج "نون النسوة"، ومعنا على الهواء مباشرة ولحسن الحظ ثلاث سيدات من أجيال مختلفة. حلقة اليوم لها عنوانان، الأول مشكلة المطلّقات في قطاع غزة، ونوعية الضغوط الاجتماعية التي تواجههن خصوصًا عندما تكون المطلقة أُمًّا. وأما العنوان الثاني فهو صراع الأجيال، اليوم معنا من جيل السبعينيات السيدة جيهان، ومن جيل الثمانينيات الأستاذة نُهَيل، ومعنا آية من الجيل الجديد وأقصد التسعينيات.

أولًا: نرحب بالسيدة جيهان ونتمنى أن تشاركنا تجربتها ونسألها: كيف واجهتِ أزمة الطلاق؟ وكيف تعاملتِ معها؟ زمان وفي الوقت الحالي في ظل الحصار والضغوط النفسية الناجمة عنه؟ وبما أننا نحتفل اليوم بعيد الأم فيسعدنا أن نسمع منك أكثر عن علاقتك بابنتك الوحيدة آية والموجودة معنا اليوم وما هي أكثر الصعوبات والتحديات التي واجهتِها معها بخصوص مشاكل وهموم وطموح جيلها؟

- أنا بشوف إنه جيلنا دفع الثمن باهظًا.. بمعنى كنا جادين وأكاد أجزم أنه مستحيل أن امرأة من ذلك الجيل تقدم على طلب الطلاق، ومن فعلت وأنا منهن تكون قد أُجبرت عليه. نسبة الطلاق كانت أيامنا أقل من النصف بالمقارنة بهذه الأيام. يعتقدون أننا ظلمنا أنفسنا لكن ظلمًا كبيرًا وقع علينا، والمرأة كانت تموت رعبًا من لقب مطلّقة. حاليًا أشعر أن المرأة تتقبل اللقب لأنه لا يعتبر انكسارًا كما يراه البعض بل يدفعها إلى أن تكون امرأة قوية ومعتمدة على ذاتها، ومستقلة في قراراتها، وتستطيع أيضًا أن تتقلد منصبًا بسبب هذا اللقب.
- اسمحي لنا أن نسمع من ابنتك آية رأيها بكلامك يا أستاذة جيهان؟
- أنا آية من جيل السوشيل ميديا وهذا الشيء عظّم بداخلنا الإيجو، لا أنكر أني وبنات جيلي نبحث دائمًا عن السهل في كل شيء في التعليم والرفاهية وأيضًا في الزواج.. لا نميل إلى التعقيد، لأن حياتنا بظروفها معقدة.
- عفوًا يا آية، أليس مبكرًا عليكِ وأنتِ ما زالت تشقين مستقبلك ولم تتخرجي بعد من الجامعة أن تفكري بالارتباط، وتحمل مسئولية أخرى بجانب دراستك؟
- لا، لأن الحياة لا تتوقف عندي، بإمكاني أن أهتم بدراستي وبيتي.. أمي مثلًا ارتبطت بسن 20 يعني كانت أصغر مني، وأغلب زميلاتي في الدفعة تزوجن، والباقي على وشك الزواج

وأرى أن بعضهن تجاربهن ناجحة.. وأنا مستعدة لخوض التجربة.

- جميل، ولكن هذا ليس سببًا كافيًا ليدفعك إلى الارتباط.. يجب أن تتمتعي بمؤهلات كافية حتى تنجح فكرتك.
- كوني الوحيدة لأمي تمتعت بحرية وقدرة على اتخاذ القرار، وأتحمل مسئوليته، وبصراحة أنا أخاف أن يدركني الوقت وأبقى وحيدة، الآن هي فرصتي المناسبة للاختيار.. كل الخيارات مفتوحة أمامي.. بعد عدة سنوات تقل هذه الخيارات.
- هل تحمين نفسك بالزواج؟! هذا الكلام خطير يا آية هل تجدين نفسك أهلًا للزواج؟
- أنا الآن أعرف طريقي رغم أني أبدو لك صغيرة، ولكني أخاف أن أتوه بين الحلم الوظيفي والاستقلالية، ويضيع الوقت، حلمي أن أبني أسرة مستقرة وأختار شريك حياتي، ولا أُجبر على الاختيار كما فعلوا مع أمي.
- أهاا هل تخافين من تجربة أمك وفشل زواجها؟!
- بالتأكيد لأنني عشت التجربة معها وشاركتها ألمها ووحدتها، ولكن رغبتي بعيدًا عن تجربة أمي وبكل موضوعية. أنا أميل جدًا لبناء أسرة، وعيش حياة هادئة ومستقرة، وفي الوقت الحالي هذا أقصى طموحي وأحلامي البحث عن الاستقرار. أنا واعية أن كل شيء ممكن يتغير ولا توجد ثوابت ولهذا

أفضّل خوض التجربة، وأتغير مع شريك حياتي، على أن أقضي العمر وأنا ألاحق هذا المتغير. أنا واقعية ووضعنا وواقع بلدنا أجبرنا على التأقلم على كل الظروف.

- الآن نرحب بضيفتنا الثالثة الأستاذة نُهَيل، وكما قدمناها سابقًا من جيل الثمانينيات، أهلًا وسهلًا بك.. أستاذة نُهَيل ما هو تعقيبك عما سمعت؟
- احم، نَهيل أولًا عشان نكون متفقين
- ههه، عفوًا.. أعتذر.
- عادي، ثانيًا استمعت لآية وأمها، وربما كان مع آية بعض الحق في تفكيرها، أقولها بصراحة وبدون مجاملات أن هذا الجيل يحاول أن يفهم الحياة، ويعيش اللحظة ويتناسى الكوارث ويتخطاها بسرعة لأنه يرغب بالحياة.. فهو مدرك خطورة المرحلة جيدًا، جيل عاصر مراحل متغيرة ساعدته على التأقلم واتخاذ القرار حتى لو لم يكن صحيحًا، فهو قادر أن يتحمل نتائجه، لأنه جيل عنيد، ويريد أن يواكب العالم من حوله. لا أستغرب عندما أجد معظمهم بدأ يفكر بالهجرة والهروب من أزماته، وغير متمسك بمبادئنا وقناعاتنا نحن. هذا جيل واقعي يرفض الخسارة، أنا مثلًا أنتمي لجيل الثمانينيات يعني عاصرنا الانتفاضة الأولى والثانية، والانقسام والانقلاب، والحروب والحصار. أُجبرنا - وأنا أقول أُجبرنا - أن نكون أقوياء لأننا عشنا ظروفًا سيئة، ولا أنكر أنه من

وجدت الطلاق حلًّا لمشكلتها قد دفعت الثمن. لقد عشنا مرحلة مترجّحة ورغم وعينا الكبير كانت الخيارات أمامنا محدودة أو شبه معدومة، وهنا اتكأنا على قوتنا الداخلية. هذا ناتج عن فقدنا حرية التعبير عن أنفسنا والتي حُرمنا منها أيام الجامعة، فقدنا حريتنا باختيار التخصص الذي نرغب به لقلة المجالات المتاحة، وبعدها حرية العمل، وبعدها حرية اختيار الزوج، فنحاول الآن تعويضها. مثلًا أنا كان أقصى طموحي أن يسمح لي والدي أن أحضر ندوة أو أمسية شعرية، الآن بنات الجامعة يتصرّفن بحرية أكثر وهن قادرات على التنقل والسفر مع صديقاتهنّ وممارسة هواياتهنّ.

- عفوًا للمقاطعة أستاذة نهيل ولكن بالرجوع إلى مرحلتك الجامعية، ألا تجدي معي أنكن تمتعتن بفترة ملهمة في ظل انفتاح لم يعد موجودًا الآن؟

- نعم صحيح، على الأقل لم يكن هناك حصار. بالعكس كان البلد منفتحًا، وهذا كان يسبب قلقًا لأهالينا وكانوا يحاصروننا بشكل مختلف. أي أننا أيضًا لم نسلم من الحصار، ولكنه من نوع آخر بسبب الخوف والقلق. كانت طالبات الجامعة الفلسطينيات الوافدات من بلدان عربية مثل قطر والسعودية والإمارات والأردن للدراسة هنا في جامعات غزة ما أكسبنا خبرة في التعامل مع أنماط مختلفة وثقافات مختلفة، بخلفيات مختلفة. فترة الجامعة كانت غنية ومؤثرة فعلًا.

- ولكن أستاذة نهيل هل تتفقين معي بأن الطلاب الفلسطينيين المغتربين وقتها واجهوا تحديات لم يكونوا مؤهلين لها؟
- بالتأكيد لأن التعليم هناك في البلدان العربية باهظ التكاليف، وهنا وطنهم الأصلي، وهذا طبعًا حقهم الطبيعي، والتنسيق مع الجامعات العربية غير منصف للطلاب الفلسطينيين بالإضافة إلى اضطرارهم لفراق أهلهم والسكن هنا عند الجد أو العم أو الخال، وصعوبة تأقلمهم بعيدًا عن أسرهم، والسفر فقط في الإجازات، ناهيك عن تقطيع القطاع بحواجز، وعدم تمكن طالبات الجنوب من العودة إلى منازلهن، مما يضطرهن للمكوث عند الأقارب أو الصديقات في غزة، وأيضًا إغلاق الجامعات المتكرر بسبب مشاكل داخلية، كل تلك الأسباب والمعطيات جعلت جيلنا مرتبكًا ومليئًا بالشكوك وعدم القدرة على اتخاذ القرار، ولا التعايش مع الأزمات إلى جانب سطوة الأهل وخوفهم من هذا الكم من الانفتاح الخارجي، والتمسك بالعادات والتقاليد.
- أستاذة نهيل ألاحظ بكلامك الكثير من الألم والندم.
- بالتأكيد نحن نعيش حياة صعبة لا تشبه حياة الآخرين.
- ممكن توضحي ذلك للمستمعين.
- نحن جيل قليل الحظ رغم انتمائه، ورغم أنه يحاول معرفة طريقه، لكن فرصته في الحياة قليلة، عشنا مرحلة انتقالية أثرت على تشكيلنا نحن أهل الخطط التي تفشل دائمًا، والسبب

الممنوعات والحصار. مشكلتنا الوضع الأليم، والحياة المعقدة لم تنصفنا أبدًا. نحن جيل الحيرة والضياع الذي لم يحصل على أدنى حقوقه.. ما زلنا في الوسط لم نتقدم خطوة إلى الأمام.. نحن نحتاج فعلًا إلى تغيير ما، يدفعنا خطوة للأمام.. ترجّحنا بين حكومتين واضطررنا نعيش المزاجين، رغم ما نملك من وعي. لذلك نحن مصرّون على نيل حقوقنا وفرصتنا في حياة أفضل.. نحن نعاني من حالة فصام وانقسام.

- ما مدى تقييمك للمزايا والفروق بين جيلك وجيل آية؟ أي الجيلين أفضل حسب رأيك؟

- سؤال صعب، والمقارنة غير واردة وغير منصفة، نحن جيل "اخترنا لك" أشهر برنامج كان يعرض على القناة الأرضية المصرية، وتأثرنا فيه واعتمدنا اختيارات الآخرين لنا، وهم جيل يختار كل شيء يخصه بنفسه.

- في رأيك يا أستاذة نهيل هل أثرت السوشيل ميديا على صورتكم في المجتمع؟

- نحن لم نتعامل معها بصورة جيدة؛ ثورة يناير في مصر قامت على السوشيل ميديا، وبرأيي نجحت؛ يعني أمكنهم أن يقلبوا النظام بأدواتهم العصرية. نحن قُدنا حملات هزيلة على السوشيل ميديا، فقط لنصرة الأسرى وتغيير قوانين كثيرة تخص الشباب؛ منها تخفيض السن القانونية للمشاركة السياسية، وممارسة حقنا في الانتخابات، ولكن لأنها كانت

حسب أجندة الممول، فشلت للأسف. لو كانت حسب أجندتنا ومصالحنا لنجحت لأنه نحن فقط القادرون على التفكير بما هو أفضل لنا من الممول الذي يملي علينا رؤيته وسياسته التابعة لأجندات خارجية. لذلك لم تخدمنا هذه الحملات للأسف، بل جعلتنا نفقد طريقنا، ونظل في دائرة الرفض والقمع والتهميش.

- برأيك في الحياة العادية اليومية كيف يتم التعامل مع هذه القضية؟

- برأيي المتواضع السوشيل ميديا سلاح ذو حدين بالنسبة لجيل آية تم تسطيحه وإفراغه من محتواه. جيل الفلاتر، والسناب شات، وتصدير المظهر اللامع فقط وبدون جوهر، وأيضًا يقلدون ما يرونه عبر مواقع التواصل الاجتماعي في الدول الأخرى، تقليدًا أعمى دون مراعاة المعايير والمحظورات في كل منطقة. وتكمن خطورتها بكونها ساحة مفتوحة للجميع بدون رقابة. بالمختصر تقدري تقولي حصار خانق يوازيه انفتاح تكنولوجي هائل، أما نحن فصورتنا رمادية سوداوية ومتشائمة، ولا أحد يحب أن يراها، وبالتالي لا يتفاعلون معها.

- وبالنسبة لحضرتك يا سيدة جيهان؟

- .....

- باعتقادي أنا كنهيل يمكنني أتكلم عن جيل جيهان، ولأنه أخواتي وكثير من صديقاتي ينتمين لجيلها أراهنّ عاجزات عن

التعامل مع هذا الغزو التكنولوجي. صعب يتعامل مع تويتر وسناب وانستجرام، ويحدد الجمهور المناسب لكل أداة.

- وبالنسبة لك آية؟
- أنا أريد من أمي أن تتغير وتتعلم، وتعبر عن نفسها جيدًا.. لا أريد أن تبقى مكانها.. عليها أن تساير الحياة الجديدة وتشارك التكنولوجيا الحديثة لتفهم كيف يدور العالم من حولها.
- يا آية إحنا على الهوا.
- وأنا صادقة ولا أريد أن أحكي كلام في الهوا، أوجه رسالتي وصوتي مرة أخرى لأمي، ولكل الأمهات بالاقتراب من أولادهم وبناتهم، وعدم اعتبارنا جيل تافه وسطحي.
- أعزائي المستمعين فاصل ونواصل.

في الفاصل قمنا جميعًا بتأنيب آية على ما قالته بحق أمها وسلبيتها، والمفترض أن تكون فعلًا آية وتنصف أمها؛ لأن كثيرًا من هذا الجيل صعب إقحامه في التكنولوجيا، والقليل منهم من يرغب ويحاول، والندرة منهم من يستطيع مجاراة هذا الجيل.... ولكن آية قالت لي:

- أنا أعتذر لكم ولأمي إذا تجازوت حدودي.
- يجب أن تلتمسي لها العذر، أيامها تختلف عن أيامك.
- أتمنى أن أراها صاحبة القرار. حتى قرار الطلاق فُرض عليها.
- انتقادك لها على الهواء كان صعبًا فعلًا.
- أنا ابنتها وتعبت من وقوفها مكانها، والجميع يتحرك بدونها. هل تصدقين أني أشعر بأني أكبر منها وأني مسؤولة عنها؟ أتردد

في أخذ رأيها بأي قرارات مصيرية، كنت أتمنى أن تكون صاحبة قرار، وتكون جدارًا أحتمي به.

- أمك زعلت منك وممكن تخاصمك.
- لا أطمني.. أمي تخاف أن تنام وحدها، قلبها حنون وبتصالحني. أنا مش قاسية لأ. أمي هي القاسية على نفسها، أنا مخنوقة وما حد حاسس فيا، أي بنت مكاني بتتمنى تكون أمها قوية.
- كيف يعني قوية؟
- يعني مثلك.

.....

لم يحدث شيء يُذكر بعد الفاصل، غير أني كنت أتثاءب طوال الوقت، وكانت آية تضحك، ولم تفعل السيدة جيهان شيئًا. أما المذيعة المصدومة من جرعة الكآبة التي سقيتها إياها خلال اللقاء، وبعد هذه الحلقة التي لم نذكر فيها عيد الأُمّ إلا مرة واحدة طوال الوقت، فأعتقد - والله أعلم - أنها إما قد قدمت استقالتها، أو تزوجت من مدير الإذاعة الذي كان ينظر إليها من وراء الزجاج المانع للصدى طوال الوقت أيضًا.

خرجت الأُمّ، يدًا بيد، مع آية وافترقنا على وعد بلقاءات متكررة، وذهبت لأكمل بحثي عن فكرة الرواية، التي فشل اللقاء في أن يمنحني فكرة جديدة أو ملهمة استثنائية، وعدت منه مفلسةً أكثر من قبل.

في طريقي إلى لقاء سيدة جديدة، كنت قد سألت نفسي: هل أنا نهيل فعلًا، تلك الأُمّ القوية التي شاهَدتها آية؟ أم أنا أُمّ أخرى تَدَّعي

ذلك؟ الطلاق ليس أمرًا سهلًا، ولن يكون كذلك على أي امرأة، فالجرح الذي يسببه الطلاق يؤلم الروح، ولا يلتئم بسهولة مهما حاولنا الادعاء بأننا قويات. ربما نبدو كذلك أو نحب أن نظهر قويات، لكننا في حقيقة الأمر نتألم منه، ليس لأنه ماضٍ ولكن لأنه يحدد مسارنا بعدها، وكيف نُقبل على الحياة؟ وكيف يمكن أن نتجنب الاختيارات السيئة، ولا ننكسر مرة أخرى وتتكرر خساراتنا؟ قلة قليلة تبرأ من هذا الجرح الذي يترك ندبة لا تزول، ولن يرى تلك الندب إلا من عاش تلك التجربة.. وما زال يقف على بوابة حياة أفضل بخيارات أكثر جودة..

وأنا، كنهيل، أسعى جاهدة أن أتخطى كل الانكسار، وأقابل الحياة بكل عناد، وأصمم أكثر على إنجاح مبادرتي التي تسبب لي قلقًا وجوديًا في هذه المرحلة بالذات، وهي: كيف أعثر على تلك الملهمة المستحيلة؟

أكملت خطواتي في شوارع غزة المزدحمة بالأطفال والمتسولين وبائعي البسكويت واللبان، فلم أكن أميز حتى صراخهم، وأكملت أسئلتي لنفسي. هل أتعقب فعلًا فكرة روايةٍ أم أتعقب قصصًا لسيدات تعرضن للطلاق، كي أرمم جرحهن وأساعدهن على الشفاء؟ حتى السيدات المتزوجات واللاتي يعانين في حياتهن الأسرية، كنت أقدم لهنَّ النصيحة أو على الأقل أعرض عليهن فكرة الطلاق، مكرهة، كحل مناسب. فهل كان هذا رغبة مني في أن أنهي عذاباتهن، أم لأشفي غليلهن من الرجال وبطشهم؟ لا أدري. ولكنني في ظل كل هذه الاصطدامات والاحتمالات وجدت نفسي متورطة في الإصغاء إليهن، والانكشاف على أحوالهن السريَّة والعلنيَّة.

كادت أن تصدمني سيارة، وأنا أعبر الشارع شاردة الذهن، لا أنظر إلى طريقي.

أفقت من تساؤلاتي حين سمعت ذلك الصوت المزعج لفرامل سيارة، حينها انتبهت إلى أن الجميع في الشارع ينظرون إليّ بفزع، وأما السائق فكان يكيل لي الشتائم، ويشيح لي بيده مهددًا، ولكني - وبكل برود - ولامبالاة واصلت طريقي، وكأن الأمر لم يحدث. بعد دقائق كنت في صحبة امرأة أخرى وقد نسيت حكاية آية وجيهان والمذيعة والسيارة الطائشة.

- كيف حالك؟
- لست بخير.
- حبة حبة يا أختي.. شو هالتشاؤم، "تمتمتُ في داخلي: هو أنا ناقصة هم جديد".
- هي هيك القصة.. صعبة من أولها.. قصتي أنه مطلوب مني أربي طفلة لوحدي، لازم أكون قوية، في هذا الزمن ما بنفع الأم الضعيفة. حتى لا تتربى طفلتك على قلة الحيلة. الطفل لازم يطلع قوي. إذا ضعفتي كل شيء ينهار حواليك، صدقيني ممكن أفضفض همي لصديقة، أو أبكي لوحدي، لكن كل هذا يداهمك بعد ما تنتهي مهامك اليومية الكثيرة كأم، وبعد أن تنام بنتك وتبدأ تحلم أحلام سعيدة، يبدأ قلقي وخوفي.
- يعني حضرتك منفصلة، وأم لبنت واحدة؟

- نعم حضرتي منفصلة، مطلقة، منسية.. اختاري اللقب اللي يعجبك؟
- .....
- نعم أنا أيضًا المخذولة. ربنا يكفيك شر النار اللي في قلبي، نار لا تهدأ. لما تهب أحيانًا أعرف أسيطر عليها، وأكتم غضبي، وفي الغالب لأ.
- أعرف حالتك جيدًا وتمامًا.
- تصوري لما ولدت البنت بدأت حياتي تتغير، وكل شيء أعمله بحساب وقوانين، مثلًا كنت ممنوع أبكي حتى لا ترضع البنت حليب نكد؟ طيب وأنا؟ شو وضعي؟ أنا كمان لازم أبكي حتى لا أكتم في داخلي وما أنفجر، البكاء ضروري مثله مثل الضحك. الدموع تحجرت في عينيّ وصرت أشتهي البكاء، وإذا صبرت وما بكيت صرت في نظر الكل أم قاسية.
- طبعًا اللي مثلك أنت أُمّ، وحياتك مختلفة وصعبة خصوصًا أن بنتك محتاجة لرعاية وحضانة.
- قصدك حضانة البنت؟ أبوها قبل ولادتها وقبل الانفصال، كان يهددني أنه راح يأخذها مني، فبقيت معي بحكم المحكمة، ولكن ما زلت عايشة برعب، وخايفة أتزوج ويأخدها وينفذ تهديده. أصلًا هي مسألة وقت راح توصل للسن القانونية، وتخلص فترة الحضانة وهي راح تتركني.
- طالما حياخذها من حقك تعيشي حياتك، الوحدة قاسية..؟

- ما أخبي عليك لم أجد الشخص القوي اللي اعتمد عليه، وأشعر معه بالأمان، وشخص مختلف يقدر يغير لي فكرتي السيئة عن الزواج والفشل. أنا عايشة في تناقض. خايفة أتزوج وأتركها، وخايفة أستمر في الحياة وحيدة وهي تكبر وتتركني. حياتي طول الـ 24 ساعة بين فكرتين بيتقلبوا في راسي زي الخلاط؟
- معك حق.. مخاوفك طبيعية، وقلقك مشروع، أنت بدوامة وما بتقدري تحسمي أمرك.. خايفة تتزوجي وتفشلي وتكوني خسرتي بنتك.. فعلًا مغامرة والربح غير أكيد.
- بصراحة أنا أبدو قوية من برة، لكن في الحقيقة أنا جبانة وخايفة أتخطى أزمتي، ومش قادرة أقرر أن أبدأ حياة جديدة بعيدًا عن بنتي، وكمان خايفة أتزوج والله يعاقبني وما أجيب أولاد.
- لكن كونك أم أنت مجبرة تكوني قوية أو قوية، ما في خيار ثالث.
- معك حق قوتي أني مركزة طوال الوقت. أخاف أجاوب ابنتي عن أي سؤال تسأله وأكون سرحانة، أخاف أكون السبب في معلومة غلط، تعاني منها عندما تكبر. أنا بالنسبة لابنتي أم وأب وأخ وأخت وصديقة، أنا خمسة في واحد. بعد ما تنام أقدر آخذ الشهيق والزفير، وبعد ما تنام أتذكر نفسي وأجلس معها، أحاسبها أو أطبطب عليها.
- شو دور أبوها بهذه القصة؟

- الأب في حالتنا مجرد وزارة المالية، أما أنا وزارة الحب والحنية، أبوها شخص سلبي وضعيف. مع أول فرصة ظهرت قدامه هرب خارج البلد، لم يتردد لحظة، ترك كل شيء وفكر بنفسه فقط، تحجج بسوء الأحوال وتخلى عني، تزوج أخرى وطلقني، وفوق كل هذا بدو يأخد البنت عندو، بحياتك شفتي أكثر من هيك ظلم وافتراء، لا يعرف في الدنيا غير لغة التهديد، ولا يوجد شخص عاقل يعيش تحت التهديد، ويقدر يعطي الحب. وأنا لا أريد لابنتي أن تكون ضعيفة؛ لأنها كبرت بعيد عن أبوها. ممكن الأب يكون مصدر ضعف، وليس مصدر قوة وسند.
- يبدو أنك متأثرة بالدراما العربية.. أنت وابنتك ممكن تكونوا أحسن حال من هيك. أنا أعرف شخصيات عظيمة كانت نتيجة لعائلات مفككة، بيطلع الابن عصامي وبيقاوم ظروفه وبيبني نفسه بشكل صحيح بعيد عن مشاكل أهله. وأعرف أيضًا بنات ضائعات نتيجة عائلات محافظة جدًا، بتكتم حرية أولادها وبتحاصرهم وبتقمعهم، وبتطلع شخصيات ضعيفة ومهزومة أو متمردة وبتتعرض للمشاكل والاستغلال.. لاحظي الأولى قاومت، والثانية استسلمت وأوجدت لحالها المبررات.
- قانون سن حضانة الأم كمان غير منصف، قانون غزة مختلف عن قانون الضفة. والمجلس التشريعي معطل. كنت أتمنى أنه

يتعدل قانون الأحوال الشخصية، والمجلس التشريعي يعمل، لا من أجل السياسة والانقسام وحل الدولتين، وكل هذا الكلام الكبير، بل فقط من أجل أحوالنا الشخصية وخاصة المطلّقات ومطالبهن. كان عنا أمل أن تمشي الحياة حسب خططنا على مسار واحد، لكن مشكلة المطلّقة الحاضنة كأنها سيارة في طريق آمن، وفجأة يصدمها قطار، أو يقع عليها صاروخ ويخطفوا منها البنت أو الولد. مصيبة تقسمك نصفين، ومطلوب منك أن تعيدي حياتك من الصفر. الوقت ليس في صالحك ليس لديك الوقت تلمي جراحك. لا أنكر أن ابنتي هدية من السماء، أعطتني كثيرًا وتعلمت معها الكثير، وغيرت مفاهيمي في الحياة. علمتني حلاوة العطاء، لكن كل شيء له ثمن. همها كبَّرني ومسؤوليتها أتعبتني، أحيانًا أتمنى لو لم تكن موجودة وكنت حرة؛ كنت سافرت وبحثت عن نفسي أكثر، وأصبحت لدي مشاريع ورسالة، وتعب طوال اليوم، وآخر اليوم راحة ونوم. لكن هذا نصيبي. لا أحد يختار قدره. أغار من بنات من عمري حققن أحلامهن، وأنا ما زالت حياتي واقفة بسبب زواج فاشل، وتجربة غير ناضجة.. تجربة واحدة تُغّير مجرى الحياة.

- هل زواجك كان عن حب؟
- لا عن حصار؟
- كيف يعني؟

- هو من العيلة ونحن في الحصار لا نرى سوى العيلة. كنا نخاف من أي أحد غريب ما بنعرفه أو ممكن نتفاجأ فيه، وكل الانتكاسات التي مرت بنا في غزة، من انقسام وحروب تجعل قرار الطلاق أسهل ما يمكن، والاستمرار في حياة صعبة أيضًا أسهل ما يمكن. لا خيارات، بكل الأحوال أنت محاصرة ويكون الزواج من أسخف الأشياء، شيء بدون طعم ولا رائحة. لست راضية عن قراراتي، ولو كانت الظروف مختلفة مستحيل أقبل فيها.
- أعرفها جيدًا وتمامًا.
- القرارات؟
- لا قصتك.
- آسفة.. أثقلتُ عليكِ؟
- لا أبدًا.. كأني أسمع نفسي، قصتك بتشبه قصص ناس كثير.
- ممكن أطلب منك طلب؟
- أكيد.
- أرجوك أن لا تكتبي قصتي.. أخاف أن تكبر ابنتي وتقرأ عني، وتعرف أني كنت مهزومة من الداخل، وكنت أمثل عليها دور المرأة القوية والمستقلة.. ابنتي مقتنعة تمامًا أني سوبر هيرو.
- لا تقلقي.. أنا حتى لم أسألك عن اسمك.

#بوست_اليوم

وراء كل امرأة قوية مستقلة رجل جبان خذلها.

5

اكتفيت بهذا القدر من الدراما، وكنت بحاجة فعلًا لفنجان كبير من القهوة المحوّجة، وحاجة أكبر لنسيان كل ما حدث معي اليوم وما سمعته. لا المتزوجة سعيدة ولا المطلّقة سعيدة. لا الأرملة مستقلة، ولا طالبة الجامعة مستقرة. ماذا يحدث في غزة؟ ماذا يحدث لي؟ رواية يا ناس رواية واحدة زي الناس تفك هذا النحس، وتعمل أكشن بعد كل هذه الدراما التي لا أحبها.

أصلًا أنا عاشقة للغناء، وللقطات الأفلام الكوميدية المضحكة، وأجد نفسي في الضحك والمزاح مع صديقاتي سواء في الشارع أو التشات. ما هذا الجو الكئيب الذي ورّطتُ نفسي فيه؟ غارقة حتى أذنيّ في مقابلات ولقاءات إذاعة ودراما، ودايمًا دموع.. دموع.. دموع. ومع أول سيارة تاكسي وإلى البيت فورًا يا نهيل، لا بل إلى السرير حيث النسيان والأحلام الجميلة، وبلاش اللون دا معانا راح تتعب قوي ويانا.. وحده أحمد عدوية، هل يمكن أن ينتشلني من لحظة الضياع وانعدام الوزن.. ربما! أكملت طريقي على كلماته مكرهة.

طبعًا وكأنها تحمل كاميرا مراقبة، وتحفظ مواعيد تعبي وراحتي، وكأنها تتركني طوال اليوم وأنا ألف وأتخبط، وهوووب تتصل بالضبط

في اللحظة التي أرمي نفسي فيها على السرير، أتوسل للحظة سكون وراحة.. وفجأة رن هاتفي:

- ألووووو يا عملي الأسود.

كاميليا: أنا عملك وأسود كمان!!

- طبعًا أنت دايمًا بتقطعي عليّ خلوتي

- في موضوع مهم بدي أحكيه معك، بس قوليلي الأول شو صار معك اليوم؟ هل من جديد؟

- أبدًا لا جديد.. بعد المقابلة الغريبة قلت ألحق أمرّ على مدرسة بنتي قبل موعد المقابلة الثانية، عشان اجتماع أولياء الأمور، وأنا ولية أمر زي ما أنت عارفة، جريت جري يا كاميليا ما شفتيني وأنا في وسط شارع عمر المختار، ولا كأني في سباق اختراق الضاحية، المهم وصلت على اجتماع أولياء الأمور متأخرة، وسألت المعلمة كيف حبيبة عندك، وكالعادة حكتلي بنتك مخها نظيف، ودماغها شغال ما شاء الله عليها بس... قمت حكتلها بس شو؟ حكتلي أحيانًا ما بتركز وبلاقيها شردت ومش معانا.. طلبت منها تقعدها قدام وتهتم فيها يا كاميليا، وحكتلها الله على زمان وأيام زمان، أيام لما كانت أمي تروح على مدرستي الابتدائية، وتقول للمعلمة قعدي نهيل قدام، وكانت تخجل تقول لها علشان هي قصيرة.

- طيب وشو ردت المعلمة؟

- حكتلي بنتك بتسرح وبتلعب كثير، حكتلها قعديها جنب بنت نشيطة. وتذكرت يا صاحبتي أيام زمان، لما أمي كانت بتقول للمعلمة قعديها جنب بنت شاطرة عشان ما تلتهي، المهم وحكتلي أنه بنتي في القراءة بطيئة شوية وآل شو she need to practice حكتلها طيب خليها تقرأ، شجعيها تقوم وأحرجيها قدام الأولاد، بس بدون ما تجرحي شعورها، قامت قالتلي: لو بدي استنى بنتك تقرأ حتخلص الحصة، رحت حكتلها جربي شوية تحفيزات قولي لها: بحطلك كاتشب على البورجر، وقامت يا كاميليا شهقت شهقة طويلة حسستني إني شتمت أبوها، وصوتها تغير فجأة وبتقولي شو بتقولي I can't believe أي بورجر وأي كاتشب، إحنا بنعلم الـ kids ما ياكلوا إلا healthy، وبدون صبغات عشان مضرة للصحة.
- الله ستر وما اتخانقتوا.
- آه استني وآل شو بتقولي: بنتك بدها الكل يصاحبها بدون ما تبذل أي مجهود، حكتلها طبعًا طالعالي، الحكاية جينات وراثية، ما أنا كنت هيك زمان، الله على زمان وأيام زمان، أيام لما كانوا يقولوا لأمي لما تروح تسأل عني في المدرسة، قامت قاطعتني وأنا في قمة استرسالي، وعصبت مش عارفة ليش، وبتقولي أستاذة نهيل أنت جاية تتذكري أيام الطفولة كلها هنا، وقتك معي 7 دقايق، وحضرتك أخذتي ثلث ساعة، وانت بس

تتذكري! إحنا ما حكينا عن بنتك قد ما حكينا عليكي، وعلى ذكريات أمك لما كانت تروح على مدرستك، وبتعملي هيك بإصبعها والله يا كاميليا على أساس أخاف.

- وخفتي؟
- لا طبعًا وبعدها انتبهت لشغلة كتير مهمة، وقاطعت المعلمة العصبية، لما شميت برفان رجالي، وسألتها عنه.
- ولمين طلع؟
- حكت أنه قبلي كان موجود والد طالب عندها وهذا أكيد بارفانه.
- طيب؟
- وبصفتي خبيرة بهذا المجال، وأنت عارفة طبعًا، فأنا عارفة هذا البرفان منيح بس نسيت اسمه، بس هو استثنائي حاسة أني شميتو قبل هيك، وشوفي وين الكارثة يا أختي يا كاميليا، وأنا داخلة من باب المدرسة لمحت راجل جنتل، مهيب طول بعرض، مبتسم طالع من الباب، ولابس جزمة بتلمع وهذا بحد ذاته شيء يستدعي الانتباه؛ مين فاضي هالأيام يلمع جزمته؟ ولما عدَّى شميت البرفان هو نفسه، ولو دققت أكثر كنت عرفت نوعه، بس كالعادة القلب معمي ومش شايفة قدامي. ولما التفتت عليه، لقيته بيتطلع فيَّ بتركيز من مسافة 50 متر قبل ما يركب سيارته، قلت شكله بيشبه عليَّ، أصل الستات بتكون شبه بعضها وهي تعبانة، ولسه بدي أدقق في ملامحه قام موبايلي

الغلس رن، ولما رديت كان حد بيرن بالغلط. حظي وبعرفه هو كده دايمًا، لما أنتبه للأشياء بتكون راحت مني وأعطتني ظهرها. المهم سيبك من مواضيعي شو الموضوع المهم؟

- .....
- كامليااا إنتي نمتي؟
- لا بس صدعت.
- قولي شو الموضوع قبل ما أنام!!
- في مشروع جديد لتدريب الخريجين، وفي راتب. البنات صحباتنا كتبوا أسماءهن.
- أنا خريجة من قرن يا كاميليا، واشتغلت بكل شيء، تدريب على شو؟ في تدريب هاااااه على النوم؟
- انت بس سجلي بياناتك عند الموظف، وإياك تكوني صريحة في المعلومات، خصوصًا عن سنة التخرج.
- أزوّر يعني!! هذا اسمه غش، لعلمك أنا أقتلك الآن. ممكن أخون الفريق الوطني لكرة القدم، وأشجع أسبانيا علشان المنحة يجوز، بس أكذب كلا وألف كلا.
- بدينا جو الأفلام.
- أما أنا عادي ممكن أستهبل، فأنا أول المستهبلين. غدًا نشوف الموضوع.

طار النوم من عيني، فقمت وقلبت درج المكتب لأبحث عن شهادة التخرج، وصورة للهوية، وتجميع شهادات الخبرات الغريبة التي

لا علاقة لها ببعضها، وطبعًا في وجود هذه الفوضى العارمة بالمكتب، يمكنك أن تجدي أقلام روج ومشابك للشعر، وفلاشات 2 جيجا، وخمسة شواكل مخرومة، وصور جماعية قديمة لك أنت وصديقاتك في المدرسة، وزر جاكيت منسي، ودعوة فرح صديقة لك هاجرت منذ زمن. كل شيء كان مفقودًا يمكنك أن تجديه الآن، ولا يمكن أن تجدي شهادة التخرج، فالأشياء تهرب في اللحظة التي تفتشي فيها عنها. وبعد جهد جهيد كنت قد جهزت الملف المطلوب احتياطيًا، والذي يمكن تجهيزه في أي ساعة، إلا ساعة قيامي من النوم.

ذهبت إلى المقابلة وأنا مترددة وغير متأكدة من النتيجة، ولكن من الضروري أن آخذ فرصتي، وهل من الممكن أن أجتاز هذه المقابلة أم لا؟!.. لنرَ ذلك.....

- كم عمرك؟
- بالضبط من عمر سجادتنا.
- عفوًا؟
- أنا لما أسأل الست الوالدة هاي السجادة الأصيلة كام سنة إلها عنا؟ تقول لي السجادة من عمرك، والغسالة من عمر أختك.
- والثلاجة أكيد من عمر أخوك الأصغر منك.
- ما شاء الله نبيه كيف عرفت؟ بس اللي أنت مش عارفه أنها خربت وراح نشتري واحدة جديدة.
- ما علينا.. كملي.

- أصلها أمي طول عمرها بتهتم بحاجات البيت أكثر منا، بتحفظ عمر السجادة والغسالة والثلاجة والميكرويف والأبجورة وبتنسى أعمارنا.
- طيب أنت مواليد سنة كام؟
- مواليد سنة سجادتنا.. سبحان الله!!
- طيب تحبي تدريبك في أي قسم يكون؟
- كتابة القصص.
- عفوًا؟
- أقصد قسم الصحافة وتطوير صفحات الإنترنت والنصب الإلكتروني.. أقصد التسويق عبر شبكات التناقض الاجتماعي.. التواصل... التواصل الاجتماعي.
- عفوًا.. مهنة الأب؟
- قاعد يا عمو، وعنده داء السيطرة واصل لحد الافتراء ومراته مجنانا.
- عفوًا.. مين مراته؟
- اللي أتجوزها بعد أمي..
- لا حول ولا قوة إلا بالله أنا سجلتك في قسم الحالات الخاصة، وسنتصل بك والله بيعين يا بنتي.
- شكرًا.. شكرًا يا عم، وحتتصلوا خلال هذا القرن ولا اللي بعده؟

نظر إليّ باستغراب وعاد إلى عمله، وأنا غادرت المكان، وأنا متأكدة أنه لن يتصل بي بعد الاستعراض المزور الذي قدمته.

أنهيت مقابلتي السريعة، وسجلت بياناتي، وخرجت لأنتظر "غودو" أقصد الاتصال الذي لن يجيء. وجدت نفسي قريبة من مدرستي الثانوية، فشعرت بالحنين والرغبة في زيارة المديرة، وأن أستعيد بعض الذكريات الحلوة والمشاكسة، والزمن الجميل مع مدرساتي العزيزات.

المديرة: نهيل صح، لا يمكن نسيانك، كيفك حبيبتي وشو أخبارك ووين بتشتغلي؟ والله أنتِ كنت نوارة المدرسة، ومكلفة خاطرك وجاية بدري والله فيكي الخير، بعرف إنك مش ممكن تتأخري عن يوم تطوعي لمدرستك.

- عفوًا؟
- الموضوع بسيط ولن يأخذ منك وقت.
- لكن أنا كنت بالمنطقة وحبيت أني..
- شوفي يا نهيل.. الموضوع رسم جدارية عن يوم الأرض، ومهمتك بسيطة جدًا.
- عفوًا؟ يبدو أني أخذت العدوى من الموظف.
- سلامتك، سامحيني أنا مشغولة كتير، أنت بس روحي عند الآذن وهو عنده المواد والشباب المشاركين اللي هيساعدوك كمان، يلا سلام.
- الله يخرب بيتك يا كاميليا. طيب حد يوديني عند الآذن؟

الآذن: نعم؟

- أنا نهيل، طلبت مني المديرة آخذ منك المواد، ممكن تحضرهم لحد ما أنا والشباب نجهز الاسكتشات على الورق؟

- أهلًا فيكم بس ليش يا عمي التسكشات؟
- اسكتشات يا حاج.
- آه بعرف.. ارسموا شيخ وحطة ومفتاح العودة، وعلم فلسطين وشوية بيوت، وبلا هالتسكشات.
- الله عليك يا حاج اختصرت القضية في جملتين.
- تعرفي أنا لما كنت في إسرائيل...
- لو سمحت نزلني.
- آه والله كنت أشتغل جنب إيرز، والبويا الزهر ما كان حد يعرفها، قام المدير هناك عرض عليّ غرفة نوم لبناتي، بس أنا ما أخذتها.
- وتلاقيك لليوم ندمان إنك ما أخذتها.
- ما سمعت؟
- قلت الله يعطيك الصحة.
- أنا كنت أشتغل معهم، لكن لا آكل معهم ولا أشرب. أعوذ بالله إلا الحرام، وأنا عندي أولاد عايز أربيهم.
- وتلاقيك لليوم ندمان إنك ما جربتها.
- ما سمعت؟
- الله يعطيك طول العمر وتشوفهم دكاترة.
- الله يكرمك يا أميرة أنا ما شفت متل ذوقك وحلاوة لفظك.
- شكرًا.. شكرًا يا حاج أنت بركتنا.

6

لم أتذكر عدد الأيام التي مضت دون أن أنجز شيئًا يُذكر، فقدتُ رغبتي في الخروج، وأصابني الملل، وعدت إلى ممارسة هوايتي في مشاهدة الأفلام وسماع الأغاني. زارتني كاميليا مرتين، وألحت عليَّ أن أخرج من البيت، ولكني عاندت ولم أتزحزح من سريري، وكنت أبرر لها وأقنع نفسي بأنهم سيتصلون بي حتمًا، وسأخرج حينها رغمًا عني. لكني في الصباح الثالث لاعتكافي وأنا أعبر الغرفة، التقيت بعينيّ فجأة في المرآة فذهلت؛ دققت بملامحي، شعري في فوضى فظيعة ووجهي مرهق. وفورًا قررت أن أكسر شرنقتي وأخرج، وأول فعل فكرت به أن أدلل نفسي قليلًا، فقررت الذهاب إلى صالون سهاد، وبعد دقائق وصلت المكان. لوحت لي وأكملت حديثها مع الزبونة التي بين يديها، وكانت تنظر إليّ بين الحين والآخر لتشركني معها في الحديث وتابعتها:

سهاد: كانت جدتي تحتفظ بصندوق من الخشب تضع فيه أشياءها الخاصة، مثل كل الجدات وعاشت الدور، ومفكرة حالها روز لما صارت جدة في فيلم "تايتنك" (وبصراحة أنا أيضًا شطحت بخيالي، وقلت لنفسي معقول جدتي يكون عندها بالصندوق خاصتها، دبوس شعر، وجوهرة قلب المحيط، وتطلع شيء كبير أو ممثلة مشهورة؟). تابعت سهاد: وبصراحة مش غريب الأمر على جدتي، لأنها كانت كثير بخيلة وتأخد فلوس من كل

أولادها، وما أحد منهم يعرف وين بتخبيها. بيني وبينكم أنا كنت أنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر لأفتح صندوقها. وفعلًا لما ماتت، أول شيء فكرت فيه أني أروح أفتح الصندوق. لقيت العيلة كلها سبقاني، والظاهر ستي كانت مخبرة كل البشرية عن الصندوق، وعلمكم قتلنا الفضول ورحنا نتسابق على الصندوق، وهنا كانت الصاعقة.

أنا: خير؟ شوقتينا.

سهاد: تخيلوا شو ممكن جدتي تخبي؟

زبونة 1: قولي شوقتينا بجد.

سهاد: نص علبة بارفان، ودفتر مذكرات وقلم، وباروكة، وبواقي مكياج أيام صباها، وسلسال زمرد لا يساوي الكثير. تقريبًا يعني هذا كل ما وجدناه، لكن الشيء المدهش واللي صدمنا كلنا أنه جدتي أستغفر الله العظيم يا رب.

زبونة 2: اذكروا محاسن موتاكم يا سهاد.

سهاد: على فكرة جدتي كان اسمها فعلًا محاسن.

زبونة 3: خلصينا شو لقيتوا كمان؟

سهاد: اسكتوا لا تذكروني.. صدمة ما بعدها ولا قبلها صدمة.

أنا: لا تكملي، استري عليها... أكيد صورة boy friend قديم قبل ما تعرف جدك.

سهاد: يا ريت.

زبونة 1: صورة ابن غير شرعي ويكون أبوه سافر، ولم يعد أو استشهد في الحرب.

سهاد: كمان لأ.

أنا: مجموعة رسائل غرامية... اتذكرت أنك قلت لي: إن جدتك كانت مغرمة بهاني شاكر خصوصًا أغنية: نسيانك صعب أكيد مالوش غير حل وحيد.

سهاد: لأ.. لأ..

زبونة 2: خلص زهقنا... احكي وخلصينا.

سهاد: طيب... متذكرين الأتاري الصغير اللي بيشتغل بحجارة البطارية؟ اللي كنا نلعب فيه المكعبات الملونة اللي بتنزل وتتكوم، وكل ما يكمل سطر يختفي؟ الأتاري اللي شاشته صغيرة وصوته عالي ومزعج.

أنا: آه متذكرينه.. ماله؟

سهاد: كان موجود في صندوقها، ومعاه كمان كمية أحجار بطارية، وكانت وصلت لمرحلة متقدمة!!

الجميع: هههههه.

سهاد: هذا اللي شفته، والكل قلب العزاء ضحك ومسخرة، طلعت جدتي جواها طفل صغير، وإحنا اللي كنا بنحسبها تقرأ قرآن، وتقيم الليل، وأذكار الصباح والمساء. طلعت محترفة أتاري جيب.

الجميع: هههههه.

سهاد: آه، نسيت.. كان مع الأتاري علبة دخان مالبورو أبيض، وتذكرنا السعال المزمن اللي كنا متخيلينه بقايا سل قديم من الطفولة... ما لكم ساكتين، ولا بتردوا ولا بتصدوا؟

الجميع:.....

- مش مصدقين... صح؟

غادرتُ صالون سهاد، ولم أنطق بكلمة. لم أكن أكذّب سهاد كما توقعتْ، ولكني أردت الاحتفاظ بكل الطاقة الإيجابية التي وصلتني. كان في داخلي كمية من الضحك والمرح تكفيان العالم، أعادتني القصة إلى أجواء المرح المفتقد في غزة، والحكايات البسيطة الساذجة، والتي كانت على بساطتها تملأ القلب بالضحك، والتي يمكن تناقلها بحماسة ودهشة لم تعد موجودة حاليًا، فقد طغت على أيامنا قصص أخرى؛ مثل البطالة والفقر والموت والطلاق.

أردت أن أحتفظ بفرحي كسورٍ يحمي روحي من كل تلك الحكايات السوداء التي تحيط بي.

بسرعة، وقبل أن أصل إلى البيت هاتفت كاميليا، وطلبت منها أن نلتقي في كافيه قريب، وتقابلنا على الباب ودخلنا معًا وأكملت معها مساء جميلًا.

كاميليا: راح أحكيلك يا نهيل عن الموقف اللي صار مع نوال صاحبتنا، والعريس اللي تقدم لها أول مبارح.

- خير؟
- طلب يشوف شعرها، وحجته أنه في بعض البنات بيتغير شكلها بالحجاب.
- طيب؟ شو ردت عليه؟
- لا هو إلي بيطلب وبيرد وهي بتسمع.. محتاج يشوفها بشعرها حتى يقدر يقيم الموقف.. قالت له: آه كله ولا حقك في تقييم

الموقف، وقالت له: موافقة بس بشرط، مانتي بتعرفي نوال مش سهلة أبدًا.

- شو اشترطت المجنونة؟!!
- قالت له: أنا من حقي كمان أشوفك بحجاب، عندي شالة نبيتي متخيلاها هتنطق على قميصك الفسكوز هذا ووجهك المسمسم.
- هههههه هي قالت له وجهك المسمسم؟ يخرب عقلك يا نوال، أنت بتحكي جد ولا بتمزحي؟
- آه والله، قالت: هي كمان بدها تقيم الموقف. قال لها: أي موقف عايزة تقيميه؟ قالت له: نفس الموقف بس أنت خذ الجهة اليمين، وأنا آخذ الجهة الشمال. وطبعًا لم يستوعب، وفتح معها سيرة الزواج مباشرة، فقالت ما عندي مانع، وبدأت تشرح له نظريتها في الزواج: أنه إذا رفعنا الأقنعة فالزواج عبارة عن صفقة، يعني تراعي مصلحة الطرفين لو تسميه حب، تسميه شراكة مش مهم، بس معناه الصافي اللي بدون نكهات ومكسبات طعم، وmake up فهو اسمه deal فإذا أعجب الطرفين بيصير اسمه زواج، وأنه بغير هيك هي ما بتعترف ولا بتقتنع، ودعمت موقفها بالحوار اللي دار بين نهال عنبر، وعادل إمام في فيلم طيور الظلام، لوحيد حامد لما حكتله: أنت عايز تتجوزني علشان تخبي فلوسك جوة فلوسي.. نتجوز مشينا في الجواز، وكنا حلوين نجيب عيال، جوازنا بقى

طلع دمه تقيل أدينا شركا إيه رأيك؟؟

- وشو جاوبها؟
- طلع مش مثقف، ومابيعرف نهال عنبر ولا وحيد حامد، ولا طيور الظلام، تلاقيه أصلًا ما بيعرف عادل إمام.
- أوف ليش هو من وين؟
- قال: من لندن بس هي كشفته، وعرفت أنه أصلًا من حي الشجاعية.
- كيف؟
- جاياكي في الكلام، سألته إذا كان اتجوز هناك ولا لأ، حكى لها: لأ، ردت عليه وحكتله: ومطلوب مني أصدق؟ حكى لها: والله أنت حرة، قامت قالت له: شكلك عندك إيدز وعشان هيك لهلأ مش متجوز واحدة عربية؛ لأنها حتكشفك، قام يا حرام اتشردق وهو بيشرب العصير، أصلهم قدموا له عصير قال ما بيشرب إلا قهوة فلتر، وقعد يعدد لها في أضرار القهوة العربية، ولما اتشردق قال: oh my Gad قامت قالت له: أووووه sorry بلاش إيدز نخليها كبد وبائي قصدي Hepatitis بما أنك من لندن، قام قال لها: صلي على النبي يا حجة، مالك داخلة فيّا شمال؟ شكله لما اتشردق من العصير وقع القناع عنه، قامت بتقول له: شو شمال وحجة شكلك من الشجاعية، ونازل تقولي أووه ونوو وأبصر شو؟ قال لها: وما لهم أهل الشجاعية؟

- أصيل والله الراجل.
- ردت: أبدًا أجدع ناس. وفورًا اقترحت عليه أنهم يعملوا فحوصات شاملة للإيدز والكبد الوبائي، وبالمرة التلاسيميا، واللي من وجهة نظرها فحص مالوش ثلاثين لازمة، وبمعظم الأحوال يكون إيجابي والمراكز بتعمله كتشغيل بطالة وموظفين مش أكثر، وحكتله أنه في فحوصات أهم منه بكثير.
- زي شو؟
- فحص مشاعر مثلًا، فحص توافق، فحص تفاهم، فحص اهتمامات مشتركة، فحص انسجام.
- صح كلامها.
- واتفقوا إذا كان كله clean & clear يتتموا الجوازة، قصدي الـ deal وينشروا الحب والسلام في أرجاء الكوكب.
- وتعيس الحظ شو صار فيه؟
- تلاقيه لحتى الآن قاعد بيتشردق إذا مش من العصير ومن نوال، فمن كثر ما حكينا عليه.
- يعني تمت عملية الفشل بنجاح؟
- بالزبط فشلت فشلًا ذريعًا.
- يحيا العدل حتى النصر حتى النصر.
- امبارح حضرت على mbc2 فيلم eat pray love "لجمانة روبيرتس" لما غيرت مكانها وتاهت في الدنيا.
- تستاهل حد قال لأهلها يسموها جمانة.

- وقتها قال شو لقت حالها.
- اسمها جوليا أنا غلطانة اللي علمتك تحضري أفلام.
- استني بس..
- أنا بسمعك مش ماشية.
- وحققت التوازن لما قدرت تحب حالها، وأحبت الناس الحب السويّ مش المَرَضي.
- طبعًا التوازن هو القوة والرحلة هي الأهم.
- حافظت على التوازن، وشو استفادت إذا ما استثمرته بحب متين؟
- الفايدة إنها خرجت برسالة الفيلم "أن تتقبل كل شخص مر بحياتك على إنه معلم لك".
- المفروض اللي بيحب حد ما بيطيق يبعد عنه، صح ولا أنا غلطانة؟
- سيبك هذا كلام أفلام، بالعكس إذا بدك تحبيه ابعدي عنه، تناسب طردي بين بعد المسافة واشتعال الحب، والدليل: أن الناس وقت الحرب كانت تحب بعضها أكثر، سألتي حالك ليه الأزواج مع الوقت بيختفي الحب بينهم؟ بس لو استمروا مخطوبين حيستمروا يعشقوا بعض؛ لأن العين بتختلف نظرتها عن قرب، ولكن مع البعد بتظهر المشاعر الحلوة، ويمكن تجاهل العيوب، وتكون الخسائر أقل، والشوق أجمل وأعمق.
- أي خسائر؟

- أقصد تكسير الفازات والتلفزيونات أثناء الشجار، على سيرة التكسير شو صار معك امبارح؟
- جيت أطبق كلامك وطلعت الأولاد على المدرسة، وبديت أعمل الـ medition اللي حكتيلي عليه، ويصحى يا أختي صبحي بدري وبيقول لي: وين صافنة؟ شو بتعملي؟ قولتله: أصنع قرار، قال لي: نعم! طيب شو رأيك تقومي تصنعي لنا لقمة نأكلها؟ واصنعي القرار، بعدها براحتك، قلت له: ما ينفعش، الطب النفسي بيقول إنه وقت الطاقة بيكون في ساعات الصبح، وهذا الوقت المثالي للتركيز وصناعة القرار وأنا صاحية بدري مخصوص عشان أصنع القرار، قال لي: طيب قرار شو؟ قلت له: مش عارفة بس حبيت أطبق كلام نهيل، ولازم القرار يكون له أسس، علشان بكرة لما أحفادي يسألوني أقول لهم: إني صنعت قرار. مش مهم شو القرار المهم أعمله بطقوس صحيحة ودقيقة. هذا علم يا أبو جهل. قال لي: يا شو؟ قلت له: يا بيبي يا بيبي، قام عصب، وعلمك قايم من النوم مش شايف قدامه، راح فش غله في صحن كان موجود على السفرة من ورا الأولاد، قام طار الصحن بحركة عمودية فوق رأسي بالزبط، ولا الطبق الطائر، بس أنا لولا مهاراتي في التصدي كان شفتيني اليوم بعين واحدة.
- هو أنا بقعد أشرحلك عن علم الطاقة، عشان تروحي تطبقيه على جوزك؟

- حظي المنيِّل خلاه امبارح بالذات يصحى بدري، وعايز يفطر، مع أنه كل يوم بينام للظهر، موظف سلطة أحالوه على التقاعد بدري بدري وطفران، وحالنا حال كل الموظفين، زواجنا مهدد بالطلاق كل آخر شهر، ولما بينزل الراتب بنرجع حبايب.
- أها عشان هيك كنت كاتبة على الفيس بوك feeling shocked وصورة الإيموجي المصدوم؟
- من امبارح أصلًا وأنا أدعي عليك.
- طيب اسمعي "اليف شافاق" شو بتقول في "حليب أسود": "الحوامل رغم كل شيء مثل ندف الثلج، لا تتشابه اثنتان منها تمامًا"، وأنا أقول: السيدات في غزة مثل كرات العوامة لا يخضعن لقالب، لكن أحيانًا يتشابهن لأنهن من نفس الخلطة.
- أصلًا معظم الكاتبات مريضات نفسيًا.
- انتبهي أنا واحدة منهم.
- أعوذ بالله، أنت أولهم يا روحي.
- ممكن أقول لك: إنه كل السيدات العاديات - أقصد غير المفكرات - عندهن كبت عاطفي ومشاريع قنابل موقوتة، ما بتعرفي متى وكيف ممكن تنفجر على الأقل.. المفكرات والمثقفات عارفين وين يفرّغوا طاقتهم؛ في القراءة والتنوير، والرغبة في التغيير إلخ إلخ.
- مش نظرية على فكرة في مثقفات وشاعرات عندهم هوس جنسي فظيع وإلخ إلخ برضو.

- طبعًا مش نظرية وإحنا من متى بنتناقش بالمسلمات والنظريات؟ كل قاعدة لها استثناء، بعدين النظريات انصاغت خلاص، مع أنها بتظل اجتهادات، وكل شيء قابل للتشكيك، بتعرفي أن الكاتبة حكت بنفس الرواية: إنه "أسلوب حياتها فوضوي جدًا، وجمعت حولها أكثر من عشيق في وقت واحد"؟
- آه..... مممممم. لا طبعًا.
- وقالت في عبارة فلسفية "إن سبب كل الكوارث التي وقعت على الإنسانية ولا تزال: هم الناس العاديين، وأن الفاشية قد تقدمت ونمت على أيدي الناس العاديين حاملي النوايا الحسنة، لا على أيدي السيئين أصحاب الأيادي الشريرة"؟
- لا طبعًا، وأنا ليش أعرف ناس بتقول كلام معقد؟ هو أنا ناقصة يا أختي، بيكفي عليّ مناهدة صبحي والأولاد وشغل البيت.
- طيب سمعت "سعد الصغير" لما حكى: "أكل العسل حلو بس النحل بيقرص"؟
- هذه بعرفها، بالمناسبة إذا خيرت يا نهيل تكوني امرأة أخرى، مين بتحبي تكوني؟
- نفسي أكون سيدات كثير... يعني آخذ من كل واحدة صفة بتعجبني، عندك مثلًا أوبرا، يمكن لأنها جريئة كثير في التمثيل، ومن المحترفات الكاتبة البريطانية مؤلفة سلسلة "هاري بوتر" قصة كفاحها بتعجبني، بس جنونها كله وضعته في الروايات،

بتعجبني الست اللي الجنون عندها أسلوب حياة مش مجرد أداة لتطوير حالها، وتعجبني "إسعاد يونس" لأنها لا تكف عن الاندهاش ومُعدية باندهاشها، يعني لما تندهش أنا أندهش حتى لو كان الشيء مش مدهش، وفي الإغراء "هيفاء وهبي"، وفي الحب والإخلاص والسهوكة "أليسا" اللي بأستغرب من طول بالها، يعني غنت لكل العاشقين، واللي لسه مع بعض واللي راحو شهر عسل، واللي تركو بعض، واللي اتخاصموا، واللي اختلفوا، واللي اتجوزوا عرفي ولسه ما يأست، المهم نقول تاني: فيه نظرية بتحكي إنه كل ست استمرت متزوجة، وحافظت أو تحايلت حتى يبقى عش الزوجية، فهي تملك حدًا من الدهاء والخبث، حتى لو كان الحد الأدنى.

- وكل واحدة لم تحافظ على هذا العش فهي فاشلة؟

- أختلف معك، بل هي بيضاء كالثلج، وما بتتحمل حد يقيد حريتها تحت أي مسمى، سواء الارتباط أو الحب أو أي قيد من أي نوع.. معظم الرجال يعتبر الارتباط امتلاك في الوقت المفروض يكون الارتباط مشاركة، تعرفي وين المشكلة؟! قولتيلي وين؟ المشكلة إنه كل قصص الحب بتبدأ في المطارات لما هو يقابلها صدفة في المطار، وطبعًا يصطدموا في بعض بالغلط، ومع تسلسل الأحداث يطلع الغلط هذا هو الصح الوحيد في كل الدنيا، المهم وبعد الخبطة اللي بالغلط يصير حب من أول خبطة، ويدلق عليها القهوة ويعزمها على

غيرها، وهنا بتبدأ قصة الحب. معظم قصص الحب هيك بتبدأ؛ لقاء بالصدفة. صح كلاشيهات، بس صدقيني الشخص عند السفر بتكون مشاعره هشة، حساس ووحيد، وعرضة أنه يحب بأي لحظة، بس المشكلة الأكبر؛ أنه إحنا ماعندناش مطار! فكيف بدي أكتب قصة الحب وأعيش أحداثها؟ لحد متى يعني بدي أنتظر، لعند ما يلغوا كل الاتفاقات التي نصت أنه ما يكون عندنا مطار مستقل!

- على فكرة قبل ما أخرج قلت لبنتي: إذا كنست الثلج عن الباب وسطح البيت ممكن آخذك إلى السينما.
- كاميليا أنت من متى متابعة أفلام أجنبية؟ ويوم ما الله يفتح عليك بس حفظتي جملة الثلج!! أنت في غزة مش كاليفورنيا، اسمها إذا جليتي كل الجلي اللي في الحوض، وغيرتي لإخوتك حاخدك عند جدتك، حسبي الله ونعم الوكيل هذا تأثير الـ modernization.
- موديريشن؟
- لاااااا.. موديريزيشن. علمناهم الشحاتة سبقونا.
- الشحاتة مالها؟ شعوب كثيرة صار معها ملايين من بعد التعاطف.
- الفلوس عمرها ما عملت نهضة، الله يكفينا عصر ما بعد الانفتاح، معظم الشعوب العربية عانت بعد الانفتاح، دخلت ثقافات جديدة وهجينة بدون أصل، وأدت إلى نتائج سلبية.. الأزمات الحقيقية صارت بعد الانفتاح.

- يعني الانغلاق أفضل؟!
- فك الحصار بالتدريج هو الحل، عارفة ما معنى بلد في حصار سنوات، وفجأة ينفتح على مصراعيه، ويصير ملجأ لكل شارد بدون وطن؟ يعني مصائب وكوارث.
- طيب وشو آخر أخبار الانفتاح معك أنت؟
- اشتريت كتاب أوبرا الأخير، حقه 150 شيكل.
- يا مصيبتك السودة!! لا مش ممكن.. وهلأ قوليلي حاسبي على العصير يا كاميليا
- أنت تحاسبي على العصير، وأنا ألتقي هذا الشغوف بالكتب المختفي عن عيوني، وعنده استعداد يدفع 150 شيكل ثمن كتاب.
- تدفعي 150 شيكل ثمن كتاب، وما تدفعي 10 شيكل ثمن عصير.
- طبعًا، المسألة عندي مبدأ.

في طريق عودتنا صارحت كاميليا، بأنها كانت على حق في نصيحتها لي بالخروج واستعادة الروح الإيجابية، وعدم الاستسلام لليأس مهما كانت الظروف. وشجعتني سهرتنا معًا على أن أعود لمواصلة البحث عن فكرة الرواية التي سأقدمها إلى المنحة. ورغم أن الوقت المتاح لي صار يضيق أكثر وأكثر، ولكني أصبحت على الأقل أكثر تعمقًا في فهم طبيعة النساء من حولي ومشكلاتهن، وقررت مواصلة إجراء المقابلات. وبالفعل كان أول شيء فعلته عند عودتي إلى البيت: هو الاتصال بالسيدة

نجلاء، وحددنا موعدًا ومكانًا للمقابلة في الصباح التالي، في نفس الكافيه الذي كنا فيه أنا وكاميليا. كانت تجلس وحدها تنظر في ساعتها وتنظر ناحية الباب وكأنها في انتظار أحد ما، يدها تلمع بأساور ذهبية، وخواتم مرصعة بأحجار كريمة، ويبدو على مظهرها ثراء واضح.

اقتربت منها بهدوء...

- حضرتك نجلاء؟
- لا أنا أسماء، نجلاء ستتأخر... وأنت؟
- أنا نهيل.
- تشرفنا.. تفضلي اقعدي، شوفي يا نهلة، نجلاء مش بس صاحبتي، أنا أعرفها أكثر من نفسها، عشنا طفولتنا مع بعض والآن جيران، وكأن الله لا يريد لنا أن نفترق. هي لن تتأخر، عندها فقط مشوار عند الدكتور، صحتها مش تمام غير الاضطرابات النفسية، وحابة أقولك أنه كل طلباتك على حسابي.
- هو ده الكلام... بالمناسبة أنت شو بتشتغلي؟
- جوزي يعمل في التجارة ومدللني. مش محتاجة للشغل.
- ما شاء الله.. واضح العز.. ربنا يزيد ويبارك.. كم سنة جواز؟
- لو استثنينا نزواته نكون 25 سنة.
- استثنينا نزواته؟
- غزواته.
- سمعتها نزواته على فكرة.

- يقطع شرك.. قلت لي شو اسمك؟
- نهيل.
- المهم يا نهى اعتبريها نزوات غزوات لا يهم، طالما تعود علي بالفايدة. الحياة محتاجة لمرونة. أنا عمري 50 سنة، ومتجوزة من 25 سنة، ولعلمك كان جواز تقليدي، يعني لا حب ولا معرفة ولا قرابة. بيني وبينك زمان كانوا الأهالي يحسبوها صح، وبصراحة كانت الفرص أكثر بكثير من اليوم. أنا على العكس من صديقتي نجلاء التي تزوجت بعد قصة حب، وزوجها مخلص لها. لكن حياتهم صعبة، مصروفهم كله على العلاج مع ضغوط الحياة والراتب المحدود صار عندهم سكر وضغط وقولون.
- زوجها مخلص حكيتي وبنظري هذا بحد ذاته رزق.
- الإخلاص كذبة كبيرة. أنا عمرى ما اقتنعت أن فيه أزواج مخلصين لبعض مية بالمية؛ وطالما أنت مقتنعة العبي صح.
- طيب فهمينا كيف اللعب الصح؟
- شوفي يا نهال طالما أنت عارفة أن زوجك عقله صغير ونهايته لزوجته أُم أولاده، ومضاداته الحيوية عندك، فأين المشكلة؟
- صح كلامك.. كملي.
- فيروسات من بره شي رشح شي إنفلونزا شي زكام، طالما كل مرة يرجع لي مكسورة عينه، والتعويض موجود. الحياة بدون نزوات مملة جدًا وأنا أحب التجديد، وفعلًا مع كل غزوة

تتجدد علاقتنا لدرجة شعوري أن إحنا تزوجنا بعضنا أكثر من مرة.

- طيب هو كم مرة أخذ إنفلونزا؟
- 3 مرات وفي كل مرة كان التعويض أكبر.
- يا عيني يا عيني زي شو؟ اشجيني.
- أول مرة مع البنت السكرتيرة، وما استمر معها شهرين، بعدها رجع يبكي وغرقان بدموعه قلت له: يلي اديت لحياتي بحبك طعم ولون، مش حتنازل عنك أبدًا مهما يكون. بس يا ستي وكفّر عن غلطته بسيارة BMW، والمرة الثانية كانت مع بنت متدربة عنده، حب مراهقين ومتهورين وأخيرًا أجاني بعد يومين يشكي لي بدمع العين.
- يشكي من حب جديد، يحكي وأنا ناري تقيد.. كملي.
- كتب لي أرض القرارة باسمي. بحبها ومن زمان نفسي فيها، الهوا هناك بيرد الروح، ولا تحلى الشيشة البحريني إلا هناك.
- صحيح ليه سموها القرارة؟ وبخصوص تاريخ "سميرة سعيد" اللي اتذكرتيه فجأة حارجعله بعدين.
- سؤال غريب، لكن يمكن لأنه سجلها باسمي من قرارة نفسه.
- أنت مش معقولة، بس بصراحة أنت أكيد ألطف من نجلاء؟
- لا تذكريني أصلًا نجلاء ما عندها إلا option واحد: الحزن، وأحيانًا بيكون معه أتوماتيك النكد.

- طيب يمكن سموها القرارة عشان بتوجع القرارة أقصد المرارة.
- هاهاهاهاهاهاه يخرب عقلك يا نهلة أنت شربات.
- وأنت والله طلعت نمرة هو شو اسمك الصحيح؟
- أسماء.
- أي اسم فيهم؟؟
- هاهاهاه لاااا أنت مش طبيعية.
- هذا أنا؟ طيب سؤال محرج
- sure.. تفضلي
- ولا يعصبك ولا ينرفزك.. هنيدي في فيلم جاءنا البيان التالي.
- آه حضرته.
- ألا تعتبر خيانة في نظرك؟
- خيانة!! هو أنا قلت لك: أنه تزوج وخلف؟
- الخيانة ما بتكون أنه تزوج وخلف؛ مجرد فكّر يستخف بمشاعرك فهي خيانة، وبعدين يمكن عنده ولاد من ست تانية؟
- لا.. لا.. كل أخباره عندي ومن مصادر دقيقة جدًا، ولا الجزيرة والعربية. عيب إحنا صح بنلعب، بس بنلعب صح. بعدين هي مجرد نزوة.
- لا طلعت ولا نزلت ولا حد خد باله منها يا عبد الحميد بيه رأفت. نبيلة عبيد في الراقصة والسياسي... كملي.

- الحياة محتاجة مرونة مش كلها شد وضغط. المهم تلعبي شوية وتلاعبيه، المهم ما يجيب جون إلا في المرمى تبعك.
- الله عليك يا سوسو وأنت مدركة وواثقة من قدراتك.
- يقطع شرك ما ألذك يا... هو شو اسمك صحيح؟
- أنا مدحت، طيب وفي المرة الثالثة شو كان التعويض؟
- أخذني على تركيا، وهناك جددنا شهر العسل، ولا أمل وجورج كلوني.
- عندك أولاد؟
- عبد الله و سارة وآخر العنقود آدم.
- كم أعمارهم؟
- عبد الله في الجامعة، والباقي في ثانوي. كنا في تركيا لوحدنا، وأخذنا راحتنا ولما رجعنا لقينا guess what؟
- guess what oh no?!! قولي؟ سقطوا؟
- هاهاهاهاه يقطع شرك عسسسسل، بالعكس لاقيناهم جايبين في الشهادات درجات كثير حلوة، مع أنهم كل سنة بينجحوا على الحافة.
- وما كنتم تخافوا يقعوا؟
- من وين؟
- من على الحافة؟
- لا.. لا انت بجد أنت رهيبة، المهم أكمل لك أصل: اكتشفنا إن وجودنا وخناقاتنا هي اللي مش مخلياهم يركزوا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- غريبة!! يعني أنتم معهم تتخانقوا وبعيد عنهم تعيشوا شهر العسل!! إياك تقول لي بتحبيه؟
- مين؟ شهر العسل؟
- لا.. جوزك؟
- يووووووه أنت شو اسمك صحيح؟
- نهال.
- والله يا نهيل بدون يمين؛ جوزي كل ما يكبر بيحلو. صحيح عمره 55 بس يا خراااشي... بيعرف كيف يعامل الست، جوزي لطيف جدًا دايمًا البنات واقعين في غرامه، والصغار قبل الكبار، له سحر خاص. حبيبي كله جاذبية.
- عرفت أخيرًا ليه الأشياء صارت تطير من إيدي بدل أن تسقط على الأرض؟!!
- اووووه.. ليه؟؟
- لأن كل الجاذبية عنده.
- لالالالا أنا مش قادرة أنت قطعة سكر... رقمك معي وقريبًا أعزمك على أرض القرارة، وهناك نقضي يوم كامل في أحضان الطبيعة.
- وإذا شفت جوزك صاحب الجاذبية وعجبني؟
- يا نهار أبيض من مصلحتي يعرف بنت سكر زيك، ويمكن من وراك نطلع باريس.

#بوست_اليوم

"الزواج هو اتحاد شخصين من أجل تجاوز صعوبات الحياة التي لم تكن لتظهر لولا اتحادهما".

7

كانت الهواتف النقّالة وما زالت نافذة المحاصرين الوحيدة لتفريغ طاقات البطالة والملل، وإهدار الوقت والثرثرة التي يمكن أن نعّبر بها عن وجعنا، وكبت حرياتنا، ومناقشة مشاكلنا بحرية وبلا تردد. من خلال شبكات التواصل يمكننا الحديث، ونحن بالبيجامة وبشعر منكوش، في الصالة أو في غرفة النوم، قبل استعمال فرشاة الأسنان، وبعد أكل البصل. نتحدث في النهار، أو في منتصف الليل، في أيام العمل التي لا نعمل فيها، وفي أيام العطلات الرسمية والأسبوعية.. فقط نحكي ونحكي ونحكي ولا نتوقف. أتذكر مرة أن أحدهم سألني: ما هو الشيء الذي يمكن لأهل غزة أن يتظاهروا بسبب انقطاعه؟ هل هو الخبز، أم الكهرباء، أم العمل، فكان ردي: الإنترنت.

- Happy Anniversary يا فادية وكل نكبة وإحنا سوا، الله يسامحه جدي ياريت ما هاجر، كنت أنا معك هلأ بنندب سوا بيوم النكبة.
- لو ما هرب جدك كان ما صار لنا نكبة، وكمان ما عرفتك، ولا تزعلي فعلًا. الحك على جدك اللي خاف وشرد مفكر لعب العصافير طلك نار.
- ليش مصرّة يا فادية تشوهي صورة جدي، وتعايريني باللي صار، والله الحظ معك، أهلك ظلوا في بيوتهم، والحمدلله

أجدادك ما هاجروا وتركوا بيوتهم للكلاب السعرانة.

- يعني كان ضروري جدك يخاف ويشرد لما سمع صوت الدك على التنكة، والله عيب صوت تنكة يخوفهم؟

- لحظة هاي المعلومة والله جديدة، أجدادي ما حكوا لي عنها. وعلى فكرة الإسرائيليون اللي شوهوا القصة وقالوا: إن الهجرة كانت بمزاجنا، والكل بيعرف أنه تهجيرنا قسري ومخطط عسكري، وكان تحت تهديد السلاح.

- خلاص بلاش خليني ساكتة وخليهم بنظرك الأبطال.

- قاعدة بتعيدي في كلام اليهود، ومصدقة كذبهم خليني أنا اللي ساكتة.. خلينا بأخبار اليوم والتاريخ اللي بينا

- أنا متابعة أخبار 2 مليون محاصر من أجل محاصرة واحدة.

- تابعي أخبار غزة وأعطيني الزبدة، ولا بلاش الزبدة ما في كهربا وممكن تسيح، الكهرباء بتزورنا 4 ساعات في اليوم، أنا حاليًا مشغولة كثير؛ شغل وإبداع وخناقة مع السواق، وأشتري القهوة والكيك، وأطلب وجبتي ديلفري كمان، وأصلح الغسالة، وآخذ بنتي للتطعيم، وأشتري أكل للقطة، عمومًا موبايلي قرب يفصل شحنه، سأخلي سبيلك الآن بضمان محل إقامتك.

- واااااو موافكة.

- شو صار؟! استسلمنا.

- كلبك.

- قلت لك قطة ماعنديش كلب!
- كلبك هو محل إكامتي وأنا ضامناه.

.....

.....

- وينك يا بنتي كأنك خارج التغطية، ساعة وأنا بارنلك على الواتس.

فادية: رنيتي؟ ما سمعتك

- سمعت الخبر: احتراق قمر صناعي في إسرائيل، ارتعبت وجيت جري أحكي معك، بتعرفي المكالمات عليكو بالتليفون الدولي نار، وأنا ميزانيتي على قدي.
- رجعنا لعليكو وعلينا، ماحكينا لك كلنا واحد.
- أول مرة أتمنى أنه الله يسلم الجميع بس لأنك هناك، كل مرة أرفع إيديا للسماء وأدعي عليهم زي كل الناس.. بس هالمرة غير.. شفتي التناقض اللي إحنا فيه.
- يا نهيل مليون ونص فلسطيني هنا في 48.
- (تل أبيب ذات نفسها مسروقة، سرقوا يافا وسموها تل أبيب ترجمي يا مريم) هههه.
- نهيل بتضحكي؟!! وإحنا في حالة تئهب.
- أولًا تأهب الهمزة على ألف ثانيًا، هذا مش كلامي هادا كلام (وصال) في رواية الطنطورية الله يرحمك يا رضوى عاشور.
- نهيل أنا مرعوبة ومش مركزة، الوضع ما بيطمن.

- غمة وبتزول، المهم انتبهي على حالك.
- النار بعيدة عنا 30 كيلو متر بس.
- بس 30 كثير والله.
- شو كصدك، بتتمسخري حضرتك؟
- أبدًا والله، أصل إحنا القصف بيكون بعيد عنا 30 متر وبنقول بعيد، لا اطمني مش هتموتي، وإذا هيك يمكنك إلغاء حالة التأهب ونامي، أنا رايحة أعمل سحلب خلاص اطمنت عليكِ.
- بتحطوا عليه مكسرات؟
- طبعًا.
- اعملي لي معك.
- هلأ عايزة سحلب؟ على أساس إنك مرعوبة، وحالة تأهب قصدي تئهب.. كنت هتصحي إبراهيم طوقان من قبره وتغني موطني موطني.
- كصدك موتني موتني.
- فعلًا هذا أيام ما كان موطني بخير، بعد الحرب ما تخلص صرنا نلعن غزة والحياة اللي فيها. الخوف بيخلي البني آدم ضعيف، ومتعلق أكثر في الحياة، قنوع وراضي يعيش بأقل القليل، ولما تخلص الحرب بنرجع لسيرتنا الأولى، وعاداتنا طمَّاعين وبدنا كل شيء مرة واحدة بدون نقصان مثل باقي البشر.
- المشكلة أنك ممكن تلاقي ناس شمتانة في ناس.

- مش كل الناس فاهمة اللي بيصير، ما تلوميهم. أنا كنت واحدة منهم، ولما تعرفت عليك وعرفتك وفهمت كيف عايشين، اكتشفت إني ما كنت فاهمة شيء، ولا عارفة أي شيء عن أهم جزء من وطني.
- والآن شو فهمتي؟
- فهمت اللي لازم أفهمه.. مش لازم أصدق كل شيء بأسمعه لازم أبحث عن الحقيقة بنفسي.
- بتعرفي إنه الطنطورة انحركت؟ نهيل شو هي الطنطورة؟
- هاي اللي بين حيفا ويافا، بلد مريد البرغوثي زوجها لرضوى عاشور، وأنا شو بحكي من الصبح.
- اسمها الآن بزخروف يعكوب، كلبي انحرك عليها والله..
- ما أنتِ لو بتقرأي تاريخ وروايات كان التاريخ اللي غيروه لكم ما اتغير عليك، ما علينا المهم أنت ما تنحرقي يا عمري.

.....

.....

- فادية عمرك زرتِ رام الله؟ رام الله بلد لها ستايل خاص فيها.

فادية: آه... كنا في رام الله في مدينة روابي، ذات السجنون الأوروبي.

- ذات شو؟

فادية: كصدي النمط.

- أنت ما قلت نمط شكلك قولتيها بالعِبري صح؟ كم مرة أقول لك ماتحكي معي ولا كلمة عبري؟

فادية: ما أنت كلت ستايل، وستايل مش عربي.

- يا أختي أقولها بكل اللغات إن شاء الله بالمدغشقرية بس عِبري لا.. لغتهم شرسة بتستفزني، ونصها مسروقة ولو أنه مطلوب مني أفهم لغتهم حتى أأمن شرهم، لكن وقت ما أسمع حرف منها بحس بالغضب ودمي بينحرق.
- تمسكي فيك يا ست نهيل حك من حكوكي.
- آه... مثل تمسكي بحق العودة، أترك معك حق اللجوء، وأتمسك بحق العودة. طيب أنا الآن معي دعوة لحضور مسرحية في قاعة الهلال الأحمر. أستأذنك عزيزتي بنحكي بعدين.

فادية: وين هاي قاعة الهلال الأحمر؟

- في تل الهوا.
- تل شو؟
- تل الهوا... الهوااا.
- يعني بسمع عندكم تل الزعتر بس تل الهوا هذه جديدة!!!
- تل الهوا أخو تل الزعتر بالرضاعة.
- يا بنتي أحكي جد.. أعطيني معلومة صحيحة.
- تل الهوا هي منطقة قريبة من البحر الأول.
- البحر الأول؟!!
- آه، الشيخ عجلين.
- مين هذا؟

- الشيخ عجلين.
- شو هالأسماء الغريبة؟
- كل واحد حر في أساميه... اسم الله عليكم.. أشكلون وأشكيك وتشكيني كلها شين شين، تركتوا كل حروف اللغة ومسكتوا في الشين مستوطيين حيطتو بكل كلمة بتحطوه.
- ما أنت حكيتي الشيخ عجلين، يعني شيخ يعني شين، يعني الشين مش حكر علينا.
- آه وعنا كمان الشيخ رضوان يلا اتفضلي اعترضي.
- لا اعتراض بس أنتِ ذكرتِ إنه في بحر أول وثاني صح؟ الأول عرفناه.
- يا بنتي هو واحد بس إحنا قسمناه نصين، حرين إحنا.
- ماشي، الثاني اللي أنت رايحة عليه اليوم بحر شو؟
- بحر السودانية.
- بحر شو؟ ليش هيك اسمه؟
- عشان بترجع ملكيته لجماعة من السودان.
- أهاااا.
- شفتي قلت لك إني موسوعة.
- نهيل، جوجل بيقول: إن بحر السودانية تعود تسميته لأنه كان يوجد مكر لكوات الهجانة السودانية، وكانت تركب الجمال في عهد الحكم العسكري المصري، يعني ما بترجع ملكيته لجماعة من السودان زي ما كولتي.

- قصدك إنه معلوماتي مش دقيقة؟
- أعوذ بالله هو في حد يتجرأ ويحكي عنك هيك.
- طيب ليش بتروحي تفتشي ورا كلامي؟ بتثقي بجوجل أكثر مني؟ وأزيدك من الشعر بيت، عنا كمان حي اسمه البرازيل، وحي كندا في رفح، وحي الشجاعية بس أنا ماكنتش عايزة أصدمك.
- شو الشجاعية هاي؟ برازيل اسمعنا فيها كبل بس شجاعية.. مين سماها؟!!
- الشجاعية أهل الشجعان، صعب تتخيلي أهل الشجاعية شو ممكن يعملوا في واحد تعدى على حك من حكوكهم، وكمان عنا حديكة اسمها برشلونة في تل الهوا، عجبك هيني صرت أحكي مثلك بالكاف.
- آه عرفته اللي أخوه في الرضاعة تل الزعتر.
- كأنك بتتمسخري على مناطقنا؟
- لا أعوذ بالله بس أنا مش مكتنعة بصلة الكرابة.
- بلاش.
- طيب يا نهيل أنا كمان عندي مشوار ولازم أستعد، حأقوم أتحمم.
- يااه أنتوا هيك؟
- كيف يعني هيك؟
- يعني بتقرروا تستحموا فبتقوموا تستحموا بكل بساطة؟ شو هالرفاهية والدلع؟

- ليش هو فيه نوع ثاني؟
- آه إحنا بنستحمى على مزاج الكهرباء، يعني هي اللي بتحدد التوقيت على مزاجها، أنا لما أكون برة وأرجع البيت، وألاقي كل أهلي لابسين زعابيط على طول بعرف إنه الكهربا زارتنا الحمدلله. ونفس الشيء بخصوص الكوي يعني لما تيجي الكهرباء، ممكن أستغلها من الفرحة وأكوي لبس مكوي وجاهز، علشان أقهرها زي ما بتقهرنا، ولا التلفزيون ممكن أتركه موصول بالكهرباء وشغال، علشان لما تيجي في نص الليل يشتغل لحاله. تحسي هيك البيت مسكون أشباح، فجأة بيشتغل التلفزيون والتكييف حتى الميكروويف إذا فجأة لقيتي كل الناس بتجري مروحة على بيوتها، بتعرفي أن الكهرباء أجت قبل ميعادها، والكل بيكون في سباق ولا يوم الحشر، اللي عايز يكوي، واللي عايز يشحن، واللي عايز يسشور، واللي تحط وجبة غسيل، واللي تخرط الملوخية على المولينكس، تخيلي مثلًا طبخة الملوخية مقرونة بجدول الكهرباء، وقتها اعرفي على طول أن البرنسيسة وصاحبة الجلالة وصلت.
- مين هاي؟
- الكهرباء طبعًا يا حبيبتي هو في برنسيسة غيرها في وقتنا هذا، لما تيجي بنفضيلها الكرسي اللي في الصدارة على السفرة تقعد وترتاح قبلنا، المهم خلاص أنا قررت.

- خير؟
- حاحظرك من الواتس.
- عادي حاطلع لك على الإيمو.
- ماعندي إيمو.
- خلاص مالناش إلا الأنستجرام أنا ما كولتلكيش إني أضفتك من اسم حساب جديد؟
- يووووه كمان حصار؟ يعني مش بكفينا حصارنا. بس أنا أحب أقول لك: لا تساومي أي واحدة محاصرة تعودت يكون عندها كم بديل، وتعلمت تحاصر حصارها ولو اضطرت أنه يكون لها في كل بلد وطن.

"صديقتي فادية صارت سببًا آخر للحصار، وسببا آخر للوجع، هربتُ من جهازي المحمول وأطفأته تمامًا. كنت في قمة الإحباط، وكنت أبحث عن يد تمتد نحوي وتسألني: ما بكِ؟ ولكن الكل مشغول بمشاكله وهمومه ولا يوجد أحد يستمع لصراخي، حتى ابنتي كانت طول اليوم تشكو من وجع في أسنانها، ولم أنتبه إلى الالتهاب في فمها من ضرس عنيد وشرس كشراسة أيامنا وقسوتها، وبصراحة لم أعد أشعر بالذنب، فأنا أيضًا أحتاج لمن يسأل عني، ويأخذ بيدي من كل هذا الوجع، ويخلصني من هذا القهر والعجز الذي يتملكني ويهدد أماني".

لكن لا يمكن التخلي عن الواجبات والمسؤولية حتى ولو كنت منقسمًا على نفسك، وكل جزء منك في مكان.

في عيادة طبيب الأسنان كانت ابنتي على كرسي العلاج وبجوارها الطبيب يقوم بعمله، قالت لي:

- ماما.. امسكي إيدي.

كل شيء انفجر داخلي في تلك اللحظة. آآخ قتلتني كلمتها، هذه بالضبط مشكلتي وأزمتي، لم يمسك أحد بيدي، ولذلك أنا متعَبة، نعم متعبة وجدًا، لماذا لا يوجد مودة ورحمة؟! لماذا لا يوجد حب؟ ولكن يوجد كره، بل الكثير من الكره والحقد. لماذا لا يوجد أشخاص حانونين يذيبوا الصعوبات؟ لماذا كل مرة أشعر أن لدي طاقة لإعطاء الجميع، رغم أنه لم يعطني أحد؟ وعندما آخذ هذا العطاء بشوق ولهفة يتضح بعد سنوات أنه من الشخص الخطأ، والمتعب والمنهار مثلي، لحظة!! لكن من يقرر من هو الشخص الخطأ؟ ومن هو الشخص الصواب؟ وهل يوجد في المشاعر صواب وخطأ؟ إذًا لماذا قال الحكماء: فاقد الشيء لا يعطيه، بينما أراه يعطيه ويغدق فيه؟ ومن أخذ كثيرًا لا يعطي شيئًا، ولا يشعر بحرمانك إلا المحروم، والإبداع لا يولد من رحم الرفاهية، وقصص النجاح لم تكن يومًا محصلة الراحة. لماذا رغم وعينا وثقافتنا لا نستطيع أن نختار من نكون؟ وعندما نختار من نكون تكثر العقبات أمامنا!!".

هل تعلم ابنتي كم هي محظوظة اليوم؟ لأنها لم ترَ شكل إبرة البنج عندما انقضّت عليها؛ لأني أغلقتُ لها عينيها، وسؤال يتكرر في كل مرة، لماذا لم يخترع الطب حتى هذه اللحظة شيئًا ألطف وأكثر رأفة من هذه الإبرة اللعينة؟ لماذا لم يغلق عينيّ أحد عندما كنت طفلة؟ وكان ألم أسناني يداهمني ويصحبني من يدي عنوة لأستسلم لكرسي طبيب

الأسنان، وأرى إبرة البنج بجميع حواسي، وبعد أن تستريح بمكر على كرسي الطبيب، وقد نفثت سمها، تأتيني في الليل على هيئة كوابيس شامتة ومستهزئة بي، تتوعدني بآلام أكبر في المرات القادمة.

كبرت الآن وما زلت أزور عيادات طب الأسنان لأشفى من عقدتي، وأسخر منها كما سخرت هي مني قديمًا.

كل شيء في حياتي انتزعته بقوة، حتى حقوقي الشرعية والقانونية. حقي في الحياة أيضًا انتزعته وفرضت وجودي على هذه الدنيا. لم آخذ شيئًا بسهولة، ولا عن طريق الصدفة، ولكن حتى الآن ما زال سؤال يطرق رأسي بمطرقة حادّة: كيف استطاعت الطفلة ذات الست سنوات أن تطلب طلبًا لم أستطع أن أطلبه أنا طوال حياتي؟

أن يمسك أحدهم بيدي؟

أن يجتاز بي الشارع لأني خائفة.. ومن قال: إن الكبار لا يخافون، الكبار يمارسون حق المكابرة.. المكابرة فقط، وهذا هو حقهم الوحيد.

تصبحين على خير يا نهيل ولا تنسي أنني أحبك وفخورة جدًا بك.

.....

بعد عودتنا أنا وابنتي من مشوار الطبيب المزعج والمؤلم، والذي أتعب نفسيتي، كان من الضروري أن أكافئ نفسي بجرعة من الدلع والدلال، طبعًا فالحياة في النهاية عبارة عن خليط من النكد والفرح، مع القليل من اليأس، والكثير من الأمل. جلستُ أمام التسريحة، وجهّزت قناع اللبن بالعسل، وبدأت في عمل حواجبي، واتصلتُ بصديقتي وجارتي المبتسمة دائمًا كاميليا.

- مرحبًا نهيل.
- كاميليا.. مال صوتك؟
- نهيل.. الحقيني.
- تمام هذا هو المطلوب في هذه اللحظات التاريخية، قولي يلا بسرعة فرحيني؟
- بسرعة قابليني في مول "مترو" 5 دقايق وحكون هناك.
- بعمل في حواجبي مش هينفع؛ تعرفي أنا ماليش إلا أحرقو "مترو" هذا، كل شويه قابليني في "مترو"، قابليني في "مترو"، والكارثة أنك بتقولي 5 دقايق وبتقعدي ثلث ساعة لتوصلي.

(طوط طوط طوووط)

- وين رحتي؟

.....

- اسكتي جوزي بيعرف واحدة ثانية.
- معقول؟ كيف عرفتي؟
- كاتب اسمها على الموبايل "حبيبتي سوسو".
- والله يا صبحي سوسو كمان، وجو ورومانسية، وأنا اللي كنت فاكراك مؤدب!
- نهيل شوفي حل يلا بسرعة أرجوك.. أنا نفسيتي محطمة.
- يعني أنت جايباني على ملا حواجبي اللي ما خلصتهم، عملت واحد والثاني لأ، علشان تقوليلي صبحي بيعرف واحدة اسمها

سوسو، ومسجلها ع الجوال، سوسو ونفسيتك محطمة من سوسو؟

- حبيبتي سوسو.. ياريت سوسو وبس.
- يا أختي وحبيبتي، وتقوليلي صبحي بيخوني؟ ما يخونك ولا يولع فيك أنا مال أهلي؟
- لا يا نهيل لازم تقفي جنبي. لازم تكلميها من موبايلك وتعرفي مين بنت الـ... هاي.
- طيب قوليلي الأول هي مزة ولا نص ونص؟
- يووه مش وقت مزح يا نهيل. وأنا شو عرفني؟
- صحيح. طيب هاتي الرقم وانكتمي، أو روحي هناك بعيد اتمشي في "مترو"، لحد ما أخلص المكالمة، المكالمة محتاجة تركيز، ولازم أعمل نفسي غشيمة. يلا روحي كلي ice cream ولا اشتري بوظة. المهم مش عايزة أسمع نفَسك، والله يا صبحي وطلعت أزعر. أيوه هيك حتى الأعمى فتح... الووووو.

= أهلًا يا نهيل يا حبيبتي.. عرفتك من صوتك.

- أيوه نهيل وكمان عارفه اسمي!! مرحبًا كيف الحال ممكن أعرف مين معي؟ أنا لقيت الرقم عندي على الموبايل بس مش عارفة بصراحة مين طلبو قبلي؟

= مالك يا نهيل!! أنا بثينة حماة صاحبتك كاميليا.

- كيفك يا خالتي؟ أنا آسفة ماعرفتك.

= قوليلي اتجوزتِ؟

- أنا آسفة الظاهر صار سوء تفاهم، أنا من يومين مش فاتحة راس كاميليا قصدي مش شايفاها، سلام يا خالتي.

= بس قوليلي يا بنتي اتجوزتي؟ طيب وشو هتعملي في بنتك.

- سلام يا خالتي.

.....

.....

- وجايبة ice cream وبتاكلي ولا على بالك؟ شو أعمل فيكِ؟ هو الغباء في عيلتك وراثة ولا هرمونات؟

- هرمونات، (الله يرحمك يابا ده خلفني في الخطوبة) هههههه هنيدي في فول الصين العظيم.

- أمانة وبتقولي نكت كمان (ولك أعمل فيك إيه؟ أعمل فيك إيه؟ أفرتك دماغك برصاصة، جايز الرصاصة تضرب في جمجمتك، وترجعلي تاني تمّوتني، أدبحك وأشرب من دمك جايز دمك ملوث وأروح فيها، أعمل فيك إيه؟) هاهاها هنيدي في فول الصين العظيم برضك.

- (كهربني يا جدي كهربني عشان أموت وأخلص) المهم عرفتي مين سوسو حبيبته؟

- سوسو حبيبته طلعت بثينة حماتك. أمه يا ملكة الهبل، وأنا قلت في عقلي: يا ربي من وين صبحي زوج الهبلة بيحب وعنده مشاعر؟ كيف ما خطر في بالك إنها تكون أمه؟ أنتِ شو

رضعوك وأنت طفلة؟ هبل ولا غباء؟ حسبي الله ونعم الوكيل فيكِ. بعد اليوم بديش أشوف خلقتك، روحي صاحبي حماتك الرغاية، وقال إيه؟ بتسألني اتجوزتي؟

- خلاص يا نهيل وأنا شو عرفني؟ ما خطر ببالي أن دلع بثينة هو سوسو. لأ وحبيبتي كمان!

- صح كلامك المفروض كتب اسمها حبيبتي ثوثو اسمعععي: أنا مش هأفضل أضحي أضحي علشانك كل مرة، أنا مش زي فيلم أميتاب بتشان وصاحبه، نسيت اسمه اللي كانوا زمان يعرضوه كل يوم عيد، لحد ما كرهنا العيد قصدي الفيلم.

- شو علاقة الفيلم بموضوعنا؟

- له علاقة ونص.

- لا، ما له علاقة.

- لأنهم بيكونوا اتنين أصحاب ومعهم عملة معدنية، وكانوا على أساسها بيحسموا مين يضحي علشان الثاني، وفي الآخر تطلع العملة نفس الصورة على الوجهين. آخ كم عانينا إحنا جيل الثمانينيات من هيك أفلام!

- آآآآآه قصدك فيلم جباااار زنجر.. دارمندرا وأميتاب باتشان يا نهيل! اسم الفيلم "الشعلة" يا عبيطة حد ينسى فيلم "الشعلة"، بالأمارة قعدت حبيبته ترقص على الزجاج المكسور، وهما صالبين حبيبها على قمة الجبل.

- طبعًا قمة جبل، ما هو فيلم هندي، وضروري لما تبدأ الأغنية تلاقي 300 واحد ظهروا فجأة عشان يرقصوا مع البطلين. المهم ما علينا هذا الفيلم يا كاميليا كرّهني في معنى الصداقة، وأنا مش كبش فداء لغبائك بعد الآن. يعني any more بالإنجلش. اتحملت معك فوق طاقتي وكان إخلاصي هو خطيئتي.

كاميليا: شو قصدك يا هاني شاكر؟

- يعني روحي من قدامي بظرف خمس ثواني مش دقايق. هياااا انصرررفي.... قولتيلي حبيبتي سوسو هاه؟

تركت كاميليا وهي ترقص فرحًا، ووصلني هذا الفرح بسرعة، فمشيت وكأني سعيدة ومبتسمة، وقررت أن أحافظ على روحي المعنوية العالية والمنتعشة ولِمَ لا؟ فبعد نجاحي في إنقاذ زواج كاميليا من الانهيار، وكأني قمت بعمل عظيم ومميز. وللأمانة فقد عاكسني شاب لطيف وقال لي: يا عسل، فتذكرت على الفور حواجبي وقناع العسل واللبن الذي تركته في البيت، وفي غضون خمس دقائق كنت أمام التسريحة أحاول إصلاح ما يمكن إصلاحه.

8

عدتُ مرة أخرى إلى تلك المؤسسة التي تقدمتُ إليها بطلب لتدريب الخريجين، فقد مرَّت أيام طويلة ولم يتصل بي أحد، وكنت على ثقة من أن هذا المشوار لن ينجز فيه شيء، فالإجابات المتوقعة معروفة ومحفوظة؛ فهم إما سيقولون: إن المشروع بأكمله قد أُلغي، أو أنني غير مطابقة للشروط، ولم يكن لدي فرصة أصلًا، وإن هناك من كانت تستحقها، وستكون بالطبع على علاقة قرابة أو نسب، أو حتى من جيران أحد المتنفذين في المكان. ولكن يشاء الله ألا أعود من مشواري بيد فارغة، فقد كانت تجري في ذلك اليوم داخل المؤسسة تدريبات وبروفات، لاختيار بعض المتقدمات للمنافسة، لإجراء عرض مسرحي راقص، فجلست لأشاهد وأتابع، وأستمتع بالموسيقى والرقص، والمشهد بأكمله. وكالعادة خرجت وفي قلبي كمٌّ من الوجع يكفي لكتابة خطاب شكوى لـ... لمن؟ وكتبت.

رسالة مفتوحة إلى رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية

عزيزي الرئيس:

بدون مقدمات وتحيات رسمية، فأنت رئيس لهذه البلاد، وأنا واحدة من هذا الشعب المنكوب، ولا يفترض أن يكون بيني وبينك في

رسالة مفتوحة شيء رسمي، بل ربما تُفضّل سعادتكم أن أكون على حريتي في خطابي إليك.

سأتكلم عن موضوع خاص يهمني جدًا، رغم أنه قد يبدو هامشيًا بالنسبة إليكم، لكنه يمثل من وجهة نظري المتواضعة مرتكزًا مهمًا لتحديد السياسات الثقافية لسياسة الدولة. لقد كنت اليوم إحدى المتواجدات في اختبار تقييم المشاركات في تدريب مسرحي في إحدى المؤسسات، لتنفيذ عرض رقص معاصر في غزة، كانت الصبايا يرقصن بتحفظ وخوف وقلق، وكما يعلم الجميع، فإن الرقص فعل تحرر وانطلاق وتعبير، ولكنَّ فتياتنا لأنهن لم يذقن طعم الحرية، كنَّ مقيدات بألف قيد يمنعهنَّ من توصيل الرسالة للجمهور؛ بداية من كلام الناس، ونظرة المجتمع، وقيود إيديولوجية، وقيود العادات والتقاليد.

وأخاطبك تحديدًا وأتكلم من هذه النقطة؛ لأسألكم لماذا لا توجد سياسة ثقافية في الدولة تعمل على إيجاد بيئة ومناخ حرّ، يسمح ببناء الخبرات الفنية، وكسر تلك الحواجز النفسية، وتحطيم تلك التابوهات في عقلية البنات، وذلك من أجل عمل تراكميّ يسمونه الفن؟

متى سيكون لدينا مدارس رقص، ومعاهد لتعليم الباليه؟ متى ستُدعم العروضُ الراقصة في غزة مثل بلدان العالم؟ ماذا ينقصنا لنكون مثلهم؟ إلى متى سنظل أسرى لمقاطع اليوتيوب، وشاشات اللاب توب؟ متى سنحظى بدار أوبرا مثلًا؟ متى سنحظى بقاعات عرض سينما لنشاهد فيها الأفلام؟ متى سنحظى بقاعة عروض مسرحية محترمة؟ إلى متى سيظل الفنُّ في بلدي متسقًا مع مزاج الممول وأجندته؟؟

هل أذنبت عندما وُلدت في غزة؟ متى سنعيش مثل باقي البشر، ونعبّر بحرية، ونقدم ما في أنفسنا دون خوف ورهبة؟ هل أذنبت لأني أحبُّ المسرح وشغوفةٌ بالفن؟ هل كان يجب عليّ أن أولد في ألمانيا أو لندن لأحظى ببعض الامتيازات؟ وأتذوق الفن هناك؟ غزة تحتاج للكثير لأننا شعب نعشق الفنَّ، هناك المئات من الفنانين ينتظرون فقط فرصةً لتغيير مسار حياتهم. لقد شعرت اليوم بإحباط كبير؛ لأن جميع المتقدمات للتدريب المسرحي لم يجمعهنَّ سوى الحديث عن شيء واحد بائس، وهو جدول توافر الكهرباء، والرتابة والملل في انتظار فتح المعبر، بمعنى أنهنَّ لم يتقدمن بسبب الموهبة أو الشغف.

نحن في غزة يا سيدي الرئيس نجيد ممارسة الحزن وقت الفرح، ونجيد ممارسة الفرح وقت الحزن، وبين هذا وذاك هناك الكثير من الأحلام ما زالت يانعة؛ لأن بين حزننا والفرح فقط شعرة، هذه الشعرة احتار الكثيرون ممن زاروا غزة في تفسيرها. في غزة فقط تجد خيام الاعتصام، وأيضًا عروضًا مسرحية متجولة، أشخاصًا يحفظون القرآن، وفتيات يرقصن الزومبا، شبابًا يتدربون على حمل السلاح، وشبابًا يتدربون على الدبكة. المتناقضات قريبة جدًا من بعضها، وهنا تكمن روعة غزة ولُغزُها. نحن نضرب تضامنًا مع الأسرى، ونتدرب على كتابة نصوص مسرحية، تجد المطاعم والفنادق ممتلئةً، وأيضًا المستشفيات ممتلئة وهكذا، الوقت كثير جدًا حيث لا أعمال لدينا، فالبطالة تجتاح المكان، والكهرباء فقط مدتها 6 ساعات وصل، أصبحنا نمارس نشاطاتنا في الندوات والأمسيات، وورشات العمل، ليس حبًا وشغفًا،

إنما لوجود التكييف وتوافر الماتور ولِمَ لا؟ نحن شعب يعيش بالأمل، والدليل أن أبسط الأشياء كفيلة بإسعادنا، وهذا هو سِرُّنا.

في النهاية أدعو الله أن يمنح الصبر لمليوني مواطن فلسطينيّ محاصر في غزة العبقرية.

سيدي الرئيس ابنتك محبطةٌ جدًا جدًا، ودمتم وتصبحُ على ألفِ خيرٍ وكهرباء.

أغلقتُ الرسالة ووضعتها في درج المكتب بانتظار الوقت المناسب لإرسالها، فسيادته أصلًا مشغول بمواضيع الاحتلال والدولة والقدس، ولن يكون لديه الوقت لتفهُّم قلقي حول السياسة الثقافية في غزة. وحتى لو وصلته ووجد وقتًا، وأمر بتعديل التعامل الثقافي مع غزة، فسيمر وقت كبير قبل بناء المسارح والأوبرا، وربما أصل فيه أنا إلى سنّ متأخرة تمنعني من الرقص، أو حتى مشاهدة الراقصات، ولكن ربما تستفيد ابنتي وجيلها من رسالة أمّها للسيد الرئيس، بل وربما يكون لدينا مسرح باسمي تكريمًا لتلك المبادرة الرائعة، والتي سيقدّرُها الرئيس طبعًا تقديرًا كبيرًا، ولذا سيطلقون اسمي على الأوبرا؛ أوبرا نهيل، ولِمَ لا؟ وهل أوبرا عايدة أفضل مني مثلًا؟ إطلاقًا لا، كلتانا عاشقة للفنّ والموسيقى.

في تلك اللحظة التي سرحت فيها، وكبرت أحلامي كان طبيعيًا أن يوقظني أحد ما ويعيدني إلى أرض الواقع، وفعلًا أيقظني صراخ الهاتف بجواري من أحلامي، كانت مكالمة خارجية من مصر، فقلت: استر يا رب، ولقد كان طه صديقي.

- ألوو.. طه؟ خير يا ابني؟ مكلف خاطرك وتتكلم مكالمة دولية ليه؟ أين طه الفيس بوك؟
- قلت لك مرة أن لك عندي مفاجأة، صح؟
- والمفاجأة هي أنك تكلمني دولي؟ أنت عبيط يا طه؟
- نعم يا أختي؟ لا طبعًا.. الآن جاء الوقت لأكشف النقاب عن المفاجأة.
- هي منقبة؟
- لا طبعًا يا نهيل مش منقبة؟ دي حتى مش محجبة أساسًا، وبتلبس بنطلون وتي شيرت عادي.
- المفاجأة؟
- لأ، إنجي.
- أنجي مين؟
- ما لك يا نهيل.. إنجي أختي ستكون في غزة بعد 3 أيام.
- what؟
- آه والله، قلت لك مفاجأة يا بنتي. هو إحنا بنهرج؟
- تنور وتشرفني.. يااااه على المفاجأة.
- هي دايمًا مسافرة، لأنها عضو في مجمع الجيولوجيا التابع لكليتها الجامعية، يلا سلام ونتكلم وقت آخر عن التفاصيل على الفيس بوك.
- سلام يا أخ طه.

أغلقتُ الهاتف وأنا ما زلت تحت تأثير المفاجأة الجميلة، وعدتُّ لأسأل نفسي ما هي علاقة النقاب بأخت طه الأستاذة إنجي. لماذا دائمًا هناك غموض ما وسط أكثر الأشياء وضوحًا؟ لماذا لا يوجد شيء واحد في حياتي مكتمل وواضح؟ كاميليا بسيطة وسعيدة، وأما أنا مثقفة ولكني قلقة. عملت مقابلات لسيدات كثيرات، وحتى الآن لا توجد قصة منها تصلح للمنحة التي أسعى إليها، أجريت مقابلات كثيرة للعمل، ولا يوجد عمل، لديَّ مشاريع وخطط وتعب وتركيز، ولا يوجد تنفيذ. أحفظ كل الأغاني والجمل الشهيرة في الأفلام، وأغني طوال الوقت، ولكن لا فرح حقيقي يلامس قلبي. هناك شيء مفقود في غزة، شيء يمكنه ربط كل تلك المفردات الضائعة لتكون شيئًا جميلًا وعبقريًا. أكملت مشاغل يومي ورأسي ما زال يفكر في طه و أخته إنجي وأنتظر التفاصيل على أحر من الجمر، حتى ظهر اللون الأخضر أمام اسم طه على الماسنجر فبادرته ولم أنتظر:

- طه.. مين المنقبة التي كنت تتكلم عنها؟
- هههه.. تعرفي يا نهيل أنا أعرفك من سنتين، كنا نتكلم لساعات أيام لما كنت عاطل عن العمل، وكنت تهوني عليّ كل صعب، بس أول مرة أشعر أني محتاج لك بشدة. إنجي تحت رعايتك.
- أنت مصور موهوب، لكن كنت محتاج فرصة فقط، لكن كيف يا طه اسمك طه، وأختك اسمها إنجي؟
- عادي هي أمي سمتها، وأنا أبويا سماني.
- اللي أنا أعرفه إنهم اتطلقوا قبل ما تيجوا على الدنيا؟

- دي تفاصيل مش مهمة يا نهيل خلينا في الموضوع، أنا خايف على إنجي، هي ضمن جروب أجنبي.
- لا.. طالما مع أجانب لا تخاف، أنت خاف عليها لما تدخل مع عرب، الأجانب بتمتعوا بامتيازات إحنا محرومين منها، المهم هي في ضيافتي، وسأكون معها مرشدة سياحية لكل الأماكن. هي معها وقت أسبوع ولا أكثر؟
- أصلًا رحلتها يوم واحد بس.
- بس؟ يلا مش فارقة يوم في غزة، زي أسبوع، زي شهر، زي سنة.
- لا تنسي هديتي توصلني مفتول وكنافة نابلسية.
- مفتول وكنافة نابلسية، الله.. مبروك عليك الجنسية الفلسطينية يا حج طه.

طه ليس فقط صديق فيس بوك، طه هو صديقي الأكثر قربًا مني فكرًا ومعرفة، وسمحت لنا معرفتنا ببعضنا منذ سنوات أن يثق بي، لأستقبل أخته إنجي عند زيارتها القصيرة قريبًا إلى غزة. طه واحد من أكثر من ألف صديق لي على هذا الحساب؛ منهم أصدقاء يذهبون ويغيبون، وأصدقاء يظهرون مرة واحدة ويختفون إلى الأبد، ولكن القليل القليل من نتورط بصداقتهم فعلًا، أصدقاء نفتح نافذة الفيس بوك ربما فقط كي نتبادل معهم الحكايات والمتاعب، ووجهات النظر في الحياة. لا وقت لديَّ لساعات طويلة على الفيس بوك، ومع ذلك أعتبره نافذة الحرية التي تساعدني على الخروج من أفق غزة الضيق

والمحصور، وبالتالي يفترض أن يكون أصدقائي المقربون من خارج غزة، وشرعت أتذكر أول محادثة تمت بيننا منذ سنوات...

- أنت من مصر يا أستاذ طه؟
- آه أنا مصري.
- مصر اللي بتضمنا نبض الحياة بقلبنا.
- أيوه هي دي.
- طيب والنبي تبقى تسلم لي على أنغام لما تشوفها.
- ابتدينا شغل الهبل؛ بقى يا بنتي أنت حتعملي زي المراهقين؟ يعني هو أنت فاكرة أني أمشي في الشارع ألاقي قدامي أنغام، وإذا دخلت السوبر ماركت ألاقي عمرو دياب، ولو رحت أسحب فلوس من الماكنة ألاقي حماقي قبلي بيسحب فلوسه؟
- معلش أصل أنغام دي المفضّلة عندي.
- بالمناسبة؛ أنا عمري ما سمعت بواحدة اسمها نهيل؟
- لا، أنا أشطر منك سمعت عن اتنين طه؛ طه حسين، وطه اللي عمله هنيدي في وش إجرام.
- يااه إنت مثقفة فعلًا.
- بتهرج حضرتك؟ طيب تعرف إيه أنت عن غزة؟
- معرفش غير معبر رفح اللي ما بجيبش لنا إلا المصايب.
- يعني 3 حروب وانتفاضتان و12 سنة حصار وما تعرفش غزة؟ وبعدين المعبر بوابتنا الوحيدة؛ تخيل بلد من غير مطار إحنا بقى هاي البلد.

- اللي بتقوليه فيه منه، بس كمان إحنا في الهوا سوا؛ عندنا مشاكل في سينا والعريش، طيب وازاي اتعاملتو مع الحروب، وازاي أصلا راضيين إن العدو ياخد أرضكم ويقصف بلدكم؟
- طيب كويس أنك ما قولتليش أنه إحنا بعنا أراضينا ليهم زي ما الكل بيقولي؟
- عيب يا نهيل اللي قدامك ده متعلم ومثقف وفنان، مش خريج جوجل يعني، جاوبيني على سؤالي يلا.
- ما هو عدونا مش cute، مش زي اللي بيجي في الأفلام المصري، بس بيطخ من مسدس، لا ده بيستخدم أسلحة دمار شامل وفسفور ومنجنيز على شعب أعزل تقريبًا، أقولك أول مرة قصفوا فيها كنت في سنة أولى جامعة سنة 2000 اتطلعت من الشباك، يعني بصيت زي ما أنتو بتقولوها لقيت الناس بتجري وقتها حسيت بالخوف، وقلت شو يعني الناس تطلع من بيتها وتجري في الشارع يعني صار الشارع، هو الأمان، والبيت هو مصدر التهديد، زي بالزبط لما يحصل زلزال أول حاجة بتفكر فيها تترك مصدر أمانك اللي هو بيتك، وتهرب في الشارع؛ لأنه وقتها فعلًا الشارع ممكن يكون أأمن، ولما الشارع يكون أأمن عليك من بيتك يبقى موازين الحياة انقلبت، والحياة ماعدتش طبيعية، إحنا طول الوقت تقريبًا في الشارع؛ الشارع الضياع النفسي، أقصد بيوتنا اللي هي أرضنا اتسرقت، والكل بيتفرج علينا وساكت.

- مش عارف أقول لك إيه؟ حاسس إني مكسوف، إحنا تعودنا نتبع رأي الحكومات مش لأننا قطيع وكده، بس في النهاية أي مواطن عربي نهايته إيه؟ يعني شوية مظاهرات واستنكار، وفي الآخر يتعب ويفكر اليوم التاني كيف يجيب عيش لأولاده.
- عندك أولاد؟
- هو أنا مجنون أجيب عيال على الكرة الأرضية؟
- خلاص جيبهم في المريخ.
- صحيح، قال البنت الفلسطينية بتموت في الفدائي؟
- كان زمااااان بقى، الآن بتموت في المز، واللي عنده فلوس وسيارة ونظارات Ray ban. بعدين خلاص دلوقتي مافيش لا فدائي ولا مز، نص الشباب استشهدوا، والنص التاني هاجر، قل لي: بتحب السينما؟
- ده أنا يا بنتي مولود جوه صالة سينما.
- ياااه زيي بالزبط، وأنا كمان مولودة جوه شاشة لاب توب.
- ليه؟
- إحنا ماعندناش سينما.
- لا مطار ولا سينما؟ طيب عايشين إزاي؟
- بنشرب مية.
- لاا أنت مجنونة فعلًا.
- إحنا شعب عصبي اتربينا ع جملة "ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة" مش زيكم كده شعب عاشق ولهان، نحنوح

طري، اتربى على أغنية ذهب الليل وطلع الفجر والعصفور صوصو.

- هاااا ابتدينا نتريق ولا إيه؟
- طب حأقولك سر، أنتم أقوى منا، بتتحملوا الظروف الصعبة أكثر منا، إحنا لا شعب الجبارين ولا حاجة دي أسطورة أتضحك علينا فيها زي حجات تانية كتير، إحنا قشرة أقل صدمة بتكسرنا من جوة، وبنعيش حياتنا متجبسين ومابنقدرش نقوم تاني.
- يا نهارك أسود أنت ليه كده؟
- الحصار عمل فينا أشياء سيئة كثيرة، زي ساحة السيارات المتصادمة بنخبط في بعض، المكان ضيق، والحياة بتخليك تخسر كل يوم أشياء من قيمك ومبادئك، وأخلاقك وقناعاتك، ونتيجة الفقر الناجم عن الحصار منظومة القيم انهارت، وبقت من الرفاهيات، كل يوم حاجة منهم بتدوب وبيبطل لها وجود، كل الناس محاصرة مرة واحدة، أنا متحاصرة مرتين من بره ومن جوه؛ اللي بره هو حصار كل الناس، واللي جوه الماضي والذكريات السيئة اللي بتترك عقد وهواجس. تصدق إنه لازم في كل ليلة يزورني كابوس آه والله، بؤس بؤس والناس بقت وحشة جدًا؛ كذب ونفاق، وأقنعة وابتزاز، فتلاقيني بأهرب من كل ده وبفتح اللابتوب وهات يا أفلام. بأتمنى أتحرر من نفسي، وقتها ينفك حصاري

الداخلي والخارجي. أنا حياتي زي رقصة مايكل جاكسون اللي بيرجع فيها لورا، بس بيضل مكانه، وأحيانًا بيمشي لقدام، بس برضو بيضل مكانه، مشي وجري ومجهود، بس حياتي واقفة مكانها، حياة كلها بدايات ما فيش شيء بيكمل للآخر.

- بصراحة مش قادر أفهمك؟ ممكن توضحيلي قصدك؟

- مثلًا لما أعاقب بنتي وأعصابي تفلت مني، بنتي بتكون بين شعورين عكس بعض تمامًا وبتحتار؛ معقول ماما اللي طول الوقت محتوياني ومحساني بالأمان ومدللاني، فجأة قلبت شخص عصبي؟ طيب كيف قادرة تكون اتنين في واحد، أنا أقول لك كيف؛ لأني فعلًا اتنين في واحد، أنا اللي باعاقب، وأنا اللي باكافئ، بس أنا فعليًا شخص واحد مش اتنين، ماسمهاش انفصام اسمها: شخص واحد لكن يقوم بمهام وواجبات شخصين، يعني أنا اللي لازم أشد، وأنا برضو اللي لازم أرخي، فطبيعي أولها البنت تستغرب، وما تستوعب إن أنا ماما، وأنا بابا، وأنا أنور وجدي بنفس الوقت.

- والله معك حق.

- طبعًا معي حق لأن الحصار بيخلي كل الناس شبه بعض، نخرج على نفس الأماكن، نروح نصلي بنفس الجامع، نتمشى على نفس الكورنيش، نروح نتغدى في نفس المطاعم، ونلبس نفس الموديلات. الحصار خلانا شبه بعض، المثقف زي الجاهل، المتعلم زي الصنايعي، السواق شبه الدكتور،

والمهندس زي المزارع، ومهيب شبه أديب، والعنقاء شبه البلهاء، والعنود زي خلود، بعدين حصار يعني قروض واستثمار وبزنس، ومطاعم وكافيهات، ما هي الناس محاصرة ولازم ترفه عن حالها، حالات انتحار، زواج كتير، طلاق كتير... رجعنا لعصور الظلام.

- ليه هو إحنا اطلعنا منها عشان نرجع ليها!! إحنا من يومنا غرقانين في الظلمة.
- معك حق الناس تحولت لأرقام صاروا يختاروا العزلة، في وقت كل الاختيارات مصادرة ومسلوبة، الواحد ليه يضيع ساعتين من وقته وهو قاعد مع صديق! مع أنه ممكن بنفس الوقت يحكي مع 15 صديق على التشات وكل واحد في مكانه!
- .....
- طه؟
- لأ.. طه مات من يومين.
- معلش آسفة.. مخنوقة لازم أتكلم.. أتحمل.
- طيب أنا رايح أنام كملي براحتك، وأنا لما أرجع حأقرأ المحادثة. المهم ترتاحي أنت.
- قول لي يا طه؟ مش عندكم مطار، والرجاء التوجه إلى بوابة رقم خمسة والجو ده؟
- طبعًا.

- طيب سافر. أنا لو عندي مطار أقضي كل سنة في بلد.
- بتهيأ لك. يا نهيل أعتقد التشات حدد تفكيرك، العالم الحقيقي شيء مختلف، العالم الحقيقي حياة وشغل، التشات عكس تصورك أنه انفتاح على العالم؛ بالعكس التشات انغلاق على النفس وتصوراتها وأوهامها. نصيحتي اخرجي وشوفي المشاكل الحقيقية واندمجي فيها.
- مش عارفة، طيب مثلًا اللي راحوا درسوا بره، لما رجعوا هنا واندمجوا ضمن المنظومة صار اللي كان نفسه يكون لاعب كورة اشتغل دكتور، واللي بيشتغل في التحليل السياسي دارس معماري، واللي بيحب هندسة الحدائق بشتغل تاجر عشان أبوه تاجر ابن تاجر، الناس بتميل للقوالب المضمونة، وافتقدت حس التجربة والمغامرة، وعشان كده صرنا كلنا شبه بعض، ما فيش حد مختلف؛ ثقافة مكررة ونمطية وبكرة حماصة يبقى زي سعيد، ونوسة زي ابتسام.
- أنت عبارة عن كتلة من الفوضى، وبتنطي من موضوع لموضوع بدون مقدمات.
- بالعكس تمامًا يمكن أنا أكثر واحدة مستفيدة من الفوضى؛ لأني بطوّعها لصالحي، إذا حد حاول يرتبني بتحول لإنسانة أقل من عادية ماعندهاش مواهب، ماعندهاش شغف، عشان كده متعتي وأدائي في الفوضى.
- ده معناه إنك منظمة رغم الفوضى العارمة؟!

- نعم منظمة ولكن مش مرتبة؛ فوضاي منظمة ومجدولة، ومبرمجة ولكن غير مرتبة.
- أكيد ده بيعمل لك مشاكل مع الناس.
- صحيح لأن عندي اللي مش موجود عند الناس.
- اللي هو؟!!
- عندي شخصية مختلفة، والناس مش عايزة حد يكون مختلف عنها، عايزاني أكون إمعة زي غيري، روح روح.. تعال تعال، واربط الحمار في ديل الفار، وخليهم يمشوا مع الحصار.
- نهيل تزعلي لو قلت لك: إني شايفك إنسانة مهووسة بشيء ومش لاقياه؟ ومش قادرة تحددديه؟
- وأزعل ليه؟ تقدر تقول أنا مهووسة بالمعرفة، بدور عليها في الكتب، وبفتش عنها في الأفلام.
- والحرب والحربان والثلاثة.. أكيد غيرت إحساسكم بالحياة؟
- كلنا حسينا بعد الحرب بأننا منتهكين، كل واحد منا بعد الحرب راح يستر حاله بشيء أو بشخص، اللي جري على أول صديق، واللي على بيته، واللي على زوجته، واللي على حبيبها، أي حاجة تستر لأنه العري اللي كان جوانا كبير... كبير، ولازم نستره بأي شيء بدون ما نفكر، وطبعًا مع الوقت حسينا أنه إحنا مفضوحين سواء سترنا حالنا، أو استمرينا عريانين، الفضيحة فضيحة وخد عندك الشعور بالضياع، والشعور باللاجدوى وبالخزي وبالعبث، وبكل المشاعر

السلبية اللي ممكن تحصل لك بحياتك، إحنا حصلناها وغرقانين فيها بشهرين بس، قصدي بعمرين آه ما هي كانت ساعات الحرب طوييييلة وفي الآخر بيكتشف الواحد فينا أنه مش عارف يغطي نفسه، وأنه ضعيف، فكيف ممكن تتحمل مسئولية أنك تغطي غيرك؟ وهنا بيكبر فينا الفشل. آه الفشل، كلنا فشلنا ومن لحظتها وإحنا بنضحك على بعض، وعند الجد بنخبي وجوهنا عن بعض، ومن بعديها وكل واحد فينا حياته عبارة عن لاب توب، أو شاشة موبايل نداري فيهم كذبتنا الكبيرة، مش عارفين شو بدنا وشو المفروض نعمل، نحلم زي أول ولا بكفي أنه عايشين، إذا ضحكنا عيب وإذا فرحنا ممنوع وإذا فكرنا نحتفل ونرقص في أي مناسبة بنكون خجلانين لأنه هيك مش حاسيين في الشهداء والجرحى.

- الخسارات اللي بتتكلمي عليها يمكن تعويضها مع الوقت، بس الأرواح لا تعوض.

- في فترة الانقلاب خسرت صديقة عزيزة، وفي الانقسام خسرت كمان صديقة عزيزة، وفي الحرب خسرت أعز صديقة، ولما استمر الحصار كملت معايا على الآخر وخسرتهم كلهم. تقريبًا سافروا كل صديقاتي، كل كارثة حصلت في غزة كانت كارثة شخصية بالنسبة لي. تخيل يا طه كل مرة أتعلق أنا وبنتي في صديقة تروح مني، وأقعد أكذب على بنتي لما تسأل فين خالتي فلانة؟ أقول لها مسافرة، أو مشغولة أو أمها مريضة، لما

خلصت رصيدي من الكذب، طب هما طالما بدهم يروحوا ليش ظهروا بحياتي، وبعدين المفروض صديقاتي اللي سافروا يجمعوا الذكريات في مكان واحد، مش يبعتروها مرة في تركيا، ومرة في كندا، ومرة عند ربنا. الفنان يا عالم إنسان مضروبة أحاسيسه في خمسة.

- طيب بمناسبة الفن والإبداع، أخبار الكتابة معك؟
- يووووه لا تذكرني، في رحلة العبث اللي عايشين فيها مؤخرًا، في كل الوطن العربي تحديدًا فلسطين، وتحديدًا غزة، لا شيء ينقذك ويثبت وجودك العبثي، ويوثقه سوى الكتابة، الكتابة ممكن تجعل منك الشيء الثابت الوحيد وسط وضع متحول، ومتقلب ومتنيِّل على عينه.
- طيب والناس. عاملة إيه؟
- الناس متشردة في الكافتيريات عشان الإنترنت، غزة ربعها حضانات أطفال، والربع الثاني كوافيرات، والنص مطاعم.
- وأنت عملت أيه؟
- أنا كان لازم أنجب؛ لأنه في أيام الحرب والخطر بيصير عند الانسان ميل غريزي للبقاء، نوع قوي من أنواع التمسك بالحياة، فكان لازم أنجب وأجرب الأمومة، أجرب تأثيرها عليَّ؛ على جسمي وملامحي ومشاعري، هذا حقي ولا يمكن كنت أتنازل عنه، محدش بيقدر يصادره، لا حرب ولا حصار، ولا مجتمع ولا بيئة، ولا سياسة ولا كل معاهدات السلام؛ من

كامب ديفيد لعند صفقة القرن، ولا أوسلو ولا حصار، ولا حروب ولا انتفاضات، ولا حتى سايكس بيكو.

- أنا تقريبًا بسمع منك نفس الكلام كل مرة بنتكلم فيها؟

- يعني حصار حياتنا عبارة عن slow motion. هاي حياتنا زي اللي بيحضر فيلم وبيعمل له pause وبينساه، بتقف الصورة، السنة عندك زي خمس سنين عندنا. نخضع للمزاج ونفشل في التخطيط والتنفيذ، مش حتعرف تفكر، وأنت في ظل الأزمة، جل تفكيرك كيف تاكل وتشرب، إحساسك في بكرة معدوم والمفاجآت قليلة جدًا، بل صارت معجزات، اليوم زي بكرة والشهر زي اللي بعده، وهوب خلصت السنة عشان السنة اللي بعدها تمشي بنفس الطريقة وهكذا. تقدر تقول: كلنا في قطاع غزة مع وقف التنفيذ رهن الاعتقال، كلنا محطوطين على الشاحن، وأنت وحظك ممكن يكون شاحن تجاري، أو نخب تاني أو أصلي، الحياة في غزة بدها حد تعود وتعلم الصبر، بده عتاقي مش مولودين في صراع، في المحصلة كلنا محطوطين على الشاحن لعند ما تيجي الكهرباء.. قصدي الفرج.

- وبنتك بتتصرفي معها إزاي في الوضع ده؟

- أحيانًا بتقولي: ماما نفسي أصرخ، بقولها اصرخي، بتقوم بتصرخ وبترتاح، بقول معقول هاي الرغبة كانت فينا زمان من وإحنا صغار، بس قمع ورا قمع ورا قمع خلاها تتراكم، وما

تنحل مع أنه حلها سهل، عمرهم أهالينا ما حكولنا اصرخي، بالعكس يقولولك اكتمي صوتك، عيب الجيران بيصحوا فلان عيان بلاش تزعجيه، أو أبوكي بيضربك وهكذا خوف ورعب، مع أنه الشيء في منتهى البساطة وماخدش منها ثانية، وسبحان الله بعد ما صرخت، لا السما وقعت، ولا البحر فاض، ولا الجيران صحيت، ولا الوباء انتشر، بس اللي صار أنه الطفلة ارتاحت، وهادا لحالو ريحني. هي اللي بتختار لبسها أي نعم، كل الزباين بيخلصوا مشتريات لأولادهم، وبنتي لسه محتارة بين فستانين، بس بالآخر أنا بحملها مسئولية اختيارها، وما بسهل عليها الأمور وأختار عنها، مهم تعرف كيف تختار، وشو عايزة، وشو بيناسبها، وتعرف تحدد أولوياتها، عندي قناعة أنه اللي بيختار لبسه بكرة بيعرف يختار تخصصه، واللي بيختار أشياءه بيعرف يختار بكرة شريك حياته. بعدين بنتي قبل ما تختار اللبس لازم تغني فيه قدام المراية، وتزبط فيها كل الحركات، يعني الفستان يكون له كذا ميزة عشان يقع اختيارها عليه، شوية وصاحب المحل يقفل المحل علينا ويروح، وفي الآخر لما تشتريه تقعد تلبس فيه موسم كامل ما تغيرهوش.

- يعني لسه في محلات وتجارة وموظفين وشغل؟
- آه طبعًا. شغل كثير جدًا لدرجة أنك مش لاقي وقت ترتاح، أنت أكيد بتمزح يا طه! نسبة البطالة مرتفعة جدًا في غزة،

والعروض التجارية على قفى من يشيل بس بدون مشترين، ورغم هيك المواطن الغزاوي بيشتغل الصبح في مؤسسة، والمساء في التجارة، ويوم الجمعة بيكتب مشاريع لممولين، وفي الطوارئ مترجم، وفي الآخر بعد الأربعين بصير زهقان طفران تعبان مشتت، تسأله عن اسمه يقول لك: في الصبح اسمي معتز، وفي الليل مُهان أو مهيب مش حنختلف، الجمعة مارك، وفي أيام الطواريء ميشيل أو جورج، وهكذا تتم عملية طمس الهوية بنجاح. تعرف نفسي أكتب فيلم عن هذا الموضوع، وأكتب في أول صفحة: حقوق "النطع" محفوظة.

- بس في متضامنين ومتعاطفين كثير مع غزة، في حد بيوصل لكم؟
- بعض المتعاطفين شكليًا مع غزة عاملين بالزبط زي اللي بيحضنوا طفل يتيم مشلول قدام الكاميرات، ولما الكاميرا تنطفي أو تلف بيقولوا: يعع. تعرف؟
- خير؟
- الحصار على غزة عامل زي واحد بيغتصب في واحدة خرسااااء.
- أنت أكيد مجنونة، وبتمشي في الشارع تكلمي نفسك؟
- وأنا صغيرة أهلي فهموني أن اللي بيحكي مع نفسه مجنون، ولما كبرت اكتشفت أن اللي مش طبيعي هو اللي ما بيحكي مع نفسه.

- لكن أنت كتير متوافرة على العالم الافتراضي؟
- إذا كنت شخص محظوظ ممكن تلاقي الشخص الحقيقي في العالم الافتراضي.
- طيب لسه حاسة إنك مخنوقة؟
- لما حضرت فيلم room قعدت فترة متأثرة فيه، وأعاني من ضيق المساحة، وماشية وأكتافي داخلين لجوه، خايفة أخبط في أي شيء، وقعدت أسأل نفسي: هي البطلة كانت عايشة في غزة عشان تزبط الدور هيك، وتعاني من شيء اسمه سجن؟ خصوصًا لما طلعت هي وابنها من الغرفة، والغريب أنه رغم كل الوسع اللي شافوه بس حنينهم كان لغرفتهم الأولى، بس عند القرار ما قرروا يرجعوا لها؛ لأنه اختلفت النظرة، الوطن له معنى وقيمة كبيرة، صعب نختزله في غرفة، حتى لو احتضنتنا سنوات طويلة، نحن نستحق أفضل من ذلك.
- والحب؟
- على فكرة مش شرط يكون اللي بنحبهم هما بس الحبيب والحبيبة، ممكن يكون الأم.. الأب.
- الأخت... السديك... الجار.
- هههههه.. قديم طحن يا حج طه!

#بوست_اليوم

"إذا كانت حياتك تستحق أن تعيشها فهي تستحق أن تسجلها".

ماريلين جراي

9

راجعت رسائل جهازي المحمول، فوجدت رسالتين من سيدتين، تطلبان مقابلتي بخصوص الإعلان، كنت قد اكتفيت تقريبًا من المحاولات، وأصبح لديّ شعور مختلط ما بين رغبتي في استكمال المحاولات، لعلني أجد قصة مناسبة، وبين التشاؤم بسبب اقتراب الموعد النهائي. وكان لديَّ أيضًا شكٌّ يتزايد حول حقيقة معرفتي المسبقة بالنساء، وهل هن فعليًا قويات كما كنت أتوقع، أو أنهن المتسببات الأهم في ما يجري عليهن من ظلم وتهميش.

سيدة تتسامح في علاقات زوجها العاطفية، وتسميها نزوات، وأخرى لا تستطيع اتخاذ قرار مناسب، وتعيش معذبة ما بين قانون الحضانة، ورغبتها في الاحتفاظ بابنتها، وفي نفس الوقت تود التحرر أو الزواج.

بطبعي كنت أميل إلى تصديق المرأة ولكنَّ المعطيات التي التقيتها لم تكن تؤكد ذلك تمامًا.

على أي حال قررت الاستمرار، ربما بدافع الأمل، ذلك السارق الجميل الذي يسرق أيامنا، ويدفعنا للقيام بكل هذا الأعمال المجنونة في حياتنا، ما يجعل لها طعمًا مميزًا ومختلفًا عن الرتابة والكسل.

- مرحبًا.

- هاااي.
- واتس أب يور نيم؟
- Authority.
- والله؟
- نفووووذ.
- بدأنا الكذب. طيب عندك عمل يا نفوذ؟
- صحيح. أعمل نفوذ.
- على زوجك؟
- أوف كورس.
- والسبب؟
- لأنها الطريقة الوحيدة للسيطرة، حتى أني أعرف سيدات ضربن أزواجهن، صدقيني لا توجد سيدة تبدأ بالضرب، إلا يكون قد ضربها أولًا، وبالتالي العين بالعين، والبوكس بالبوكس.. الدفاع عن النفس مشروع.
- ما كنا عملنا المقابلة في مستشفى الشفاء، أنا بديت أحس بالخطر.
- العنف أحيانًا يجعل للحياة إثارة وأكشن، وتغيير روتين. في ناس ما بتفهم الحب إلا بهذه الطريقة، هذا نوع من التعبير عن الحب بالنسبة لهم، هو نوع غريب لكنه موجود.
- هذه إساءة للحب، ممكن أتصور أي شيء في الحب إلا العنف، الحب بريء منهم.

- المهم قلت له كل شيء بالاتفاق إلا الجواز بالخناق.
- هذا مش جواز، هذا استحواذ.
- أنا وحيدة أهلي، وهذه أزمتي من صغري لأني وحيدة.
- أنت مش مقدرة النعمة اللي أنت فيها.
- ألا وهي؟
- أنك في بيت لوحدك، تشعري أنك مستقلة، المهم وهو؟ كيف شخصيته؟
- عاااااادي جدًا، عادي لدرجة الملل، هذا النوع المتوافر عندك على الفيس بوك، أحيانًا بيكون مع جماعة: "إيه في أمل"، "واصبر لحكم ربك"، وتكون صورة الخلفية شمس ساعة الغروب في البحر، وأحيانًا "لا بد للقيد أن ينكسر" وطبعًا صورة القدس في الخلفية للتمويه، لكي لا أفهم أنه يقصدني.
- يعني بدون شخصية. طيب بتحبيه؟
- ما بعرف.
- أصابعك بدون محبس؟
- المحابس موضة قديمة وانتهت، أنت لسه عايشة في جو عبد الحليم والوسادة الخالية؟
- يعني أنت كل هدفك السيطرة، ومحتاجة شخص تمارسي عليه جبروتك، ربما هذا شيء يعزز وجودك، ويرضي غرورك، لكن هذا السلوك يخليكِ مسيطرة، ولكن ما إلك تأثير إلا على الشخص نفسه، أما اللي حواليكِ راح ينبذوكِ.

أنت بتسعي وراء شعور وهمي ووقتك بيضيع، وممكن تصحي في أي وقت على الحقيقة المُرة وساعتها ستكوني مجبرة على تقبلها.

- مش شايفة أي مشكلة لما من وسط مئة واحدة تكون واحدة مثلي قادرة وقوية، وتأخذ حقها من بين عيون الرجل. الرجال طوال الوقت مسموح لهم يأخذوا حقهم كامل ومكمل، وظالمين الستات. شو بصير لو مرة نتبادل الأدوار، ونجرب عليهم الظلم وهم يجربوا شعور الاضطهاد، نمارس مرة دور الفاعلة وليس المفعول بها. أنت عاجبك دور المرأة المضطهدة والمظلومة؟ عاجبك الدنيا بدون عدل ولا حقوق؟ أهلنا ضحكوا علينا وفهمونا أن الطاعة العمياء هي سرُّ نجاح الزواج، ولما تزوجنا لقينا العكس؛ الست بتتعب وبتشقى وهو مرتاح ونايم؛ لأنه حسبها صح واتجوز ست بمئة راجل مش لأنه مؤمن بقدراتها، لا بس عشان يرتاح على حساب راحتها.
- للأسف ازدواجية الرجل الشرقي.
- ولما نكون قويات بنصير في نظر الناس قليلات تربية؟ حقي بيدي آخذه، ولا واحد راح يجيب لي إياه، أسرتي أنا أكوّنها حسب إرادتي وتفكيري، وأنا من تحدد طريقة حياتها.
- القوة شيء جميل، بس السيطرة والنفوذ قوة ضعيفة ولا تستمر.. بتخلق عند شريكك رغبة في الانتقام وردود فعل عنيفة، وبتحوله لشخص مقهور، وقنبلة موقوتة مع وقف

التنفيذ، وممكن يتهور ويروح يتجوز عليكـ..

- بقدرششششش، مفلس ومديون ومنيل على عينه.
- وشو بخصوص الأسرة؟
- بلا أسرة بلا فقوس، إحنا أسرة مالهاش جذور متينة وأسس، وحب متبادل واحترام، والجو القديم هذا، كل واحد ماسك للثاني سكينة ورا ظهره، وكل واحد بيستنى أسلحة الثاني تخلص، ويراقب انهياره وهو شمتان.
- غريب أمركم، صار الحب المتبادل والاحترام موضة قديمة؟!! كل قوتك أسلحة وسكاكين، وحروب وانهيارات وشماتة!! طيب والقوة الناعمة ما سمعتي عنها؟
- دخلت حياته بقلب صافي، ورغبة في الاستقرار، وبناء جسور الثقة، ولكن النديّة اللي هو خلقها بينا، والمقارنات اللي بيعملها بيني وبين كثيرات غيري غيرتني، وصرت نفوذ الجديدة، ونفوذ الرقيقة الوديعة المطيعة قتلتها من زمان.
- أنت الآن حردانة في بيت أهلك طبعًا؟
- لا الصراحة هو اللي حردان عند أهله، أنا قاعدة في بيتي.
- شكلكم فعلًا كسرتوا القاعدة، وصرتوا عكس الناس؟
- زوج الأيام هاي اللي يروح عند أهله لأنه بيكون أخف، يروح خفيف نظيف، ويريح نفسيته وبعديها يرجع ندمان منكسر، أو حتى ما يرجعش، مش فارقة، وفي خانة الذكريات حط اسمك في المواجع.

- تحت خانة الملحوظات اكتب ان الجرح واجع، جبروت والله يا ست أصالة.
- أوماااال إنت فاكرة إيه؟
- لإمتى حتضلي مستقوية عليه يا نفوذ هانم؟
- حتى أسدد عنه كل القروض والأقساط على البطيء، أنا موظفة في مؤسسة دولية بأقبض باليور، وهو موظف في السلطة بيقبض بالشيكل، وعلمك المجد لليورو.
- أهاااااا.. فهمتك، يعني السيادة لرأس المال، إذا الموضوع هيك اتركيه وشو بدك بوجع هالراس؟
- كيف عاد والشكل الاجتماعي كيف يكمل بدونه؟
- الشكلللللل قولتيلي، يعني زواجك ديكور.. طب تفضلي.
- وين اتفضل؟؟
- من غير مطرود المقابلة انتهت، وأنا عندي مقابلة ثانية بعدك، وتقريبًا هي على وصول، وتصدقي أصلًا إني من أول المقابلة وأنا مش طايقاكي.
- شعور متبادل والله، يلا سلام.

بعد قليل همس لي الجرسون بحذر، عما إذا كنت سأغادر بعد مغادرة السيدة نفوذ المفترية، فاستغربت سؤاله واندهشت، ولكني ضحكت حتى كدت أن أقلب الكرسي الذي أجلس عليه، فقد أوحت له نفوذ في طريقة خروجها أنني من مكتب الضرائب، وأني أجري مقابلات مع الزبائن لمعرفة أسعار المكان، ومدى نظافته والإقبال عليه، مما

سبَّب له قلقًا واحراجًا دفعه لسؤالي، ولكن وللصدفة الغريبة فقد تعرف عليّ الجرسون، حيث كنا معًا في تلك المؤسسة التي قدمتُ فيها طلبًا للعمل. ولما تذكَّر وجهي بدأ في كيل الشتائم واللعنات على المؤسسة، وأنا غرقت في ضحك متواصل قبل أن تصل السيدة الأخرى.

.....

غزة الغريبة المريبة والتي تقتلك بتجاهلها طوال شهور، فجأة يحنُّ قلبها عليك، وتدق بابك بطريقة مزعجة، وكأنَّها تنتقم. الاتصال الذي انتظرته منذ مدة للعمل لم يصلني، وطبعًا لن يصل كالعادة، ولكني كنت قد قدمت طلبات للعمل في جهات كثيرة ومتعددة ومختلفة، بسبب الفراغ طبعًا.

برغم أن التقديم للوظائف أصبح إلكترونيًا والإنترنت اختصر المسافات، إلا أن خريجي الجامعات يحملون ملفاتهم طوال الوقت، تحتوى على عدد غير محدود من صور الشهادات الدراسية، والدورات التدريبية، ويدورون بها على المكاتب والشركات ويضعون في كل مكتب طلبًا للعمل وينتظرون.

.....

- ألوو، مرحبا.
- أهلًا.
- الأستاذة نهال مهنا؟
- نهيل.
- آسفة نهيل حضرتك عندك مقابلة بعد بكرة الساعة 11 حاولي تيجي على الموعد... سلام.

.....

- ألوو، مرحبا.
- مرحبتين.
- الأستاذة نهلة مهنا؟
- نهيل.
- ما غلطناش في البخاري.
- مين معايا؟
- مقابلتك بعد بكرة الساعة 11. هاتي معك شهادة تطعيم ضد إنفلونزا الطيور هاهاها.
- طيب وتطعيم الحصبة والجدري عايزاه ولا ماجيبوش وهاهاهاها برضك.

.....

- ألوو، مرحبا.
- 3 مراحب وحتة.
- مقابلتك 11 ونص حاولي ما تتأخريش، ممنوع اصطحاب الأطفال... سلام.

.....

- ألوو، مرحبا.
- كبشة مراحب.
- عندك مقابلة الساعة 11 وربع. هاتي معك كل الأوراق، وأنت مش ضروري تيجي.

.....

- عندك مقابلة يوم الأربعاء الساعة 12.
- يعني أنت مصحياني الساعة 9 الصبح عشان تقوليلي أنه عندي مقابلة، ما ينفعش يعني تستني لما أصحى، أو حتى تبعتيها مسج، الوضع صار لا يُطاق، بعدين أنا أصلًا باتشائم من يوم الأربعاء غيريه لو سمحتي..
- (طوط طوط طوط).
- ألووووو، ما لها زعلت؟!!

.....

- الأستاذة نهيل مهنا؟
- لحظة لحظة أنت قلت نهيل ولا تهيأ لي؟
- آه نهيل.
- احكي الاسم عشر مرات عشان أصدق.
- عفوًا.
- اتفضلي.
- عندك امتحان وظيفة يوم الأحد الساعة 11 يا ريت ما تتأخريش يا نهال.
- أيوه كده أنا هيك أطمن على مستقبلي قال نهيل قال. طيب أقوم أعمل حادي بادي وأشوف على أي امتحان أو مقابلة أروح.

.....

كاميليا: كيف كانت المقابلات اليوم؟

- المقابلة الأولى يا كاميليا يا حبيبتي كانت سريعة، وخلصت بسرعة، أصلي وصلت أول واحدة ولقيت نفسي وجهًا لوجه مع المدير، وبدون إحم ولا دستور راح موجه لي أول سؤال: لو حطيتك في غرفة مغلقة 4م × 4م وحطيت لك مجموعة كتب ولاب توب ونت وجوال خربان، وقلت لك أنت هنا محبوسة لمدة غير محددة، كيف راح تتصرفي؟
- واتحطني ليش هو أنا في معتقل؟
- جاوبي على السؤال.
- أقعد اتطلع على الشعشبون....
- على شو؟
- العنكبوت، وهو بينزل وبيطلع في زاوية الغرفة.
- بس أنا ما قولتش أنه فيه عنكبوت.
- عادة بهيك مواقف وعشان يكتمل جو الفلم المرعب تبعك، والخيارات القليلة فلازم يكون فيه عنكبوت، ولا أنت عادي تتفلسف وأنا لأ.
- آه أنت لتاتة يعني؟ طيب أرجع أسال السؤال: كيف حتقضي وقتك، وإذا رجعتي تحكي عنكبوت وشعشبون حألغي المقابلة.
- طيب بس قول شعشبون 10 مرات؟
- هو إحنا بنلعب طيب خليني أجرب، شعشبون شعشبون شعشبون.....

- خلص أنت ما صدقت، يا سيدي حأقعد أقرأ في الكتب.
- مش صحيح.
- ليش؟
- لأنك حتقعدي تصلحي الجوال، عشان يصير عندك اتصال مع اللي بره.
- طب أنا عندي نت ولابتوب، وقادرة أتواصل مع اللي بره بس أنا مش عايزة، وفعلًا سأنتهز الفرصة أكون فيها لحالي وأعمل من حصاري جنة، وأنا هيك فعلًا، ولعلمك فكرتك بتعزز معاني الحصار، والمفروض يكون الحصار دعوة للتأمل والتفكر داخل الانسان ونفسه، إفهم حالك الأول وبعدين افهم اللي بره، مش عارف أنه هاي أمنيتي من زمان يمكن أخلص من عملي الروائي الأول. أقولك أنا ما بدي أحيرك. اللي أنت عايزني أجاوبه هجاوبه. ولا يكون عندك فكر، أوك أنا سأنشغل كيف أصلح الموبايل، ومش حأقرأ ولا كتاب، وأفشل في حياتي. مرضي كده؟ ارتحت؟ ترى أهم حاجة عندي راحة المدراء.

بس يا ستي وخرجت طيران بعد ما عرفت مصيري الفاشل في المقابلة، وإن المدير فهم إني بتمسخر عليه، وهوووب جري على المقابلة الثانية وديلي في أسناني، مش مهم تسألنيش عن الديل الآن أنا مستعجلة.

كاميليا: طيب طمنيني شو صار بالمقابلة الثانية؟ كانت امتحان توظيف افتكر؟

- الامتحان كان عن السياسات الدولية، وثغرات القطاع الزراعي والقانون الدولي، وبعدها كان عندي مقابلة عن المسرح والدراما والفن، وكان بينهم بس نص ساعة يا دوب أنفض مخي زي السجادة، وآخذ نفس عميق عشان أفصل بين العالمين، وفي الآخر بتقولي عني عندي انفصام. الظروف وقلة الفرص هي اللي حطانا طول الوقت في هيك مود. بس خلص أنا تعودت أعيش هيك، وألاقي متعتي وانسجامي، وأقرر شو بيناسبني، وحاليًا بقول لك: كل اشي صار بيناسبني. اسمعي أنا عايزة أقدم مقترح مشروع لجهة معينة.
- طيب. شو اسم مشروعك؟
- تحصيل حاصل.
- نعم يا أختي؟
- والله يا ريت يؤجروني حاصل أكمل فيه روايتي.
- بتتكلمي جد؟
- كل أصحاب المشاريع العظيمة، واللي خلدت أصحابها بدأت من تحت، من الكراج. عندك جراج ستيفن جوبز، ومؤسس شركة اتش بي بيل، وديف، وصاحب محرك البحث جوجل، وتبع شركة أمازون.
- ما علينا، ما قلت لي عن اللي حصل معك اليوم؟
- أنا رحت زيارة على مؤسسة؟ قال لي المخرج: تعالي أعرفك على الممثلين، دخلت غرفة لقيت دُمى، قرد ناقص إيد،

وزرافة، وشمس، وسمكة ألعاب.. رحت لعبت فيهم شوية وهو كان يحكي جوال، خلص وقعد يكمل في الإيد الثانية للقرد، والشاب اللي معاه راح يجيب أكل، وطلب مني أساعده في التلزيق هو يحط غراء، وأنا ألزق، أو أنا أحط غراء، وهو يلزق، مش هنختلف على المبدأ. وأخدني الوقت، ودخلت في المود وصرت أقصقص فرو، وأخيط وألزق وأركب عيون، ولما صارت الساعة 4 قررت أستاذن لأني وقتها ما كنت حاسة بأيدي، المقص تبعهم كبير زي مقص الشجر، ومعاناة في الاستعمال وأنا ماشية قلت له: صحيح يا عم المخرج أنت نسيت تعرفني على الممثلين، قام قال خاااااا أنا سمعت كلمة: خاااا ومن خبرتي بحروف الجر عرفت أنها شخرة، وقعد يطلّع لي من تحت النظارة، وشوي ويقوم يضربني رحت قلتله: صلي على النبي يا مخرج، شكلهم الممثلين مش جاهزين. أنا قلت بس أفكرك يمكن تكون نسيت، قام قايم من مطرحه فجأة ورفع إيديه لفوق وهتف: الله أكبر.. الله أكبر قولت في عقلي: ما له الراجل ضروري يعني يعلن إسلامه اليوم. وكمل صراخ وبقولي: أنت من ساعتين بتساعديني في شو؟ حكيتله بساعدك في خياطة إيد القرد، وتركيب عين السمكة، وتثبيت تم للشمس. راح حكى لي: طيب ومش ماليين عينك؟ حكيتله: يوه بس هدول حيوانات ما عدا الشمس من الطيور، قام ضحك وهو غضبان وحكى

لي: لا الشمس زواحف يا حلوة. حكيتله: هو أنت هتقف لي على الشمسة، قصدي على الكلمة؟ مشيها يا عم الفنان، بس قصدي أنهم حيوانات مش ممثلين، قام يا ويلي يا كاميليا قعد يصرخ وعروقه نفرت، أنا بيني وبينك موتت خوف ومش عارفة أحدد موقفي من الموقف، وقبل ما أحسمها انفجر الراجل وبقولي: هما الممثلين لازم يكونوا بني آدمين يا عالم، هما الحيوانات ما لهمش نفس يمثلوا؟ أنت جاية من وين؟ من جزر الماندليف؟ ولّا من كوكب المشترك؟

عشان أهدّيه يا كاميليا قلت أحكي له معلومة على الماشي، وقولتله أولًا اسمها المادليف، أما ثانيًا هفترض معاك أن الحيوانات لها الحق في التمثيل حسب البند الخامس من اتفاقية جنيف لحقوق الحيوانات، هدول مش حيوانات، هدول مجرد دمى؟ قام انفعل ثاني بعد ما كان هدي خلاص، وحكى لي: أنت هتجنني؟ الدمى هدول عالم تاني، أرواح ومشاعر ولغة.. أمش من هنا.

ونزلت جري من الدور العاشر يا كاميليا، قبل ما يرميني بمقص الشجر تبعو، يا حرام أكيد صار معاه جلطة. بيكفي عليه حرق الدم مع الممولين، تلاقيه بيسب وبيلعن على اليوم اللي فكر فيه يأخد رأيي في الشغل، وأنا ايش عرفني أنه مسرح دُمى؟

- أكيد افتكرتي أنها مسرحية عادية زي اللي بنحضرهم؟ طيب كنت عايزه أقول لك.....

- هو أنا بشم على ظهر إيدي؟ وبعدين كل مخرج بيشتغل على حسب جنسية الممول، أول ورشتين غسيل دماغ، وأنت مبسوطة على الضيافة الانجليزية والقرطاسية الفاخرة، وبعدين يلا ناخد شكسبير، بيجي بعده ممول ألماني، برضو غسل دماغ وضيافة وقرطاسية، ويقول لك: تعالوا نجرب بريخت، وبعدها تتعود أسرع عملية غسل دماغ عنا بتحصل، وما بتكلفهم شيء، وفي الآخر ممكن ييجي ممول فرنسي ويقول لك: يا شيخ سيبك من شكسبير وبريخت والناس المعقدة، ما له مسرح الدُمى بلا بني آدمين بلا وجع دماغ.
- طيب كنت عايزة أكلمك عن موضوع صغير حصل بيني وبين.....
- في الآخر النتيجة واحدة: موووت موت إبداع، موت موهبة، موت ابتكار، موت دمااااغي، شو متوقعة من مؤسسات مبدأها اربطي الحمار وين ما بدو صاحبه. الموظف يربط الحمار وين ما بدو المدير، والمدير بيرجع يربط الحمار وين بده الممول، وفي الآخر الحمار بيضحك عليهم كلهم وبيهرب، وتكتشفي أنه ما فيش حمار أساسًا إلا أنتِ لأنك صدقتيهم ووثقتي فيهم.
- دوشتيني يا نهيل اسمعي شو صار معي الليلة.....
- أنا مالي ومال المسرح أنا مقدمة على فرصة عمل يا ناس.
- طيب استهدي بالله... أنا قلت لصبحي: ما بنفع هيك أنت

شابك لاب توب، والمروحة على البطارية، وهيك البطارية حتفصل بدري، وحنقعد يوم كامل لا كهربا ولا بطارية، قال لي: ما هو يا بيبي ما بقدر أقعد من الساعة 10 اتطلع في الحيطة، وتطلع روحي زهق وحر. إلا انا قلت له...

- لحظة لحظة مين اللي قال يا بيبي؟ المخرج العصبي؟!!
- لا مخرج مين اسم الله عليكي ده صبحي جوزي. فأنا رديت عليه: يا إما بطارية، يا إما مروحة....
- استني أنا مش في البطارية صبحي حكى لك: يا بيبي؟!!!
- نهيل أوعي تكون كلمة قبيحة ولا شتيمة؟
- لا بس طالما صبحي قال: يا بيبي يبقى لسه الدنيا فيها أمل، وممكن ألاقي قصة للمنحة، وألحق قبل الموعد النهائي. من بكرة أنا راح أكمل مقابلات مع نساء غزة المحترمات، وطالما صبحي قال لك يا بيبي يبقى لسه في أمل.

10

في اليوم التالي وبهمة عالية ونشاط ذهبت لمقابلة السيدة خلود، وهي إحدى السيدات المتصلات بي، والتي أصرَّت على أن يكون اللقاء في منزلها، وبحضور زوجها، كي لا تكون متجنية عليه في حكايتها. هكذا قالت لي، وكان هذا سببًا كافيًا لإثارة فضولي والإسراع في المقابلة، ولكن بعدما وصلتُ فوجئت بها تضع كرسيين، وبينهما طاولة صغيرة في وسط مطبخها وتقول لي:

- هنقعد هنا، في المطبخ.
- طيب والسبب؟
- هتعرفي بنفسك.

ثم نادت على زوجها:

- يا سيد... يا سيد.

ودخل علينا زوجها بابتسامة لطيفة، رجل في الأربعين، بشارب كثيف وأصلع قليلًا، ولكنه يضع على وسطه مريولًا جلديًا، وكانت يداه ما زالتا مبتلتين.

- سيد جوزي.
- أهلًا وسهلًا.
= أنا نشرت الغسيل ورتبت الغرفة، أعمل لكم شاي ولا قهوة؟

- لأ ارتاح أنت يا سيد، ولما أعوز حاجة هنادي عليك.
- جوزك؟
- هو كويس وتحسيه سيد بيت.
- سيد شو يا أختي؟
- سييد سيييد بيت.
- أنا سمعتها وعرفت أنه اسمه سيد، بس ما فهمتها، أصلي بأسمع رب البيت، بس ما سمعت سيد بيت، ولا قصدك شبه ست بيت مثلًا؟
- آه سيد بيطبخ وبيساعد في شغل البيت، بس تحسي هيك مش هذا اللي بدي إياه.
- آه انت بدك واحد يمسيكي بعلقة ويصبحك بعلقة؟
- افهميني، من يومي وأنا الرجل اللي بيطبخ ما بيدخل مزاجي؛ بحسه صاحبتي، ويطلع حظي نموذج الرجل اللي بكرهه! مش زابطة معي، هو بيفكر أنه هذا شيء بيسعدني. لأ، وبيستنى عليه تقدير، وبعتبر نفسه زوج متحضر. ما بعرف انها آخر حاجة تهمني وأنا بكون محرجة. بس كمان مش عارفة أوصله أنه مش بهاي القصص بيكسب تقديري، الرجل له أعمال أهم يقوم فيها؛ يحفظ كيان البيت، يقوم بالمهام الصعبة. أنا مش محتاجة واحد يقف معي في المطبخ، ويحمّر فرخة أو يشوي سمكة، مش ذنبي انه موظف سلطة قاعد وأنا معلمة في مدرسة صباحي، بنتي الصغيرة بتتربى على معايير خطأ.

- فسري أكثر شو قصدك؟
- إحنا تربينا أنه الأم تصحينا وتحضر لنا الفطور، والأب يطلع على شغله ويجي بالليل، واللي بصير حاليًا في بيتي العكس تمامًا.
- هذا حال البلد كلها يا خلود يعني مش لحالك.. الحال صار بالمقلوب.
- افهميني، أنا اتربيت في بيت بيعرف الأصول وفيه ضوابط، فيه كلمة صح وكلمة ما يصحش. فيكي تعتبريه بيت تقليدي، كل واحد بالأسرة له دور محدد ما بينفع غيره يقوم فيه، مش قادرة أغير قناعاتي وأمشي على قناعات غلط، عشان وضع البلد المايل، ومش حينعدل، وأنا مش قادرة أميل مع المايلة، يوميًا بأزرع في تلاميذي مبادئ وقيم ومش قادرة أطبقها في بيتي، حاسة أني عايشة انفصام، حاسة أني صرت مريضة نفسيًا.
- ليش لسه عايشة في الماضي؟ إحنا في اليوم وبكرة ومبارح راح وخلص.
- لأنه زمان الحياة كانت مفهومة، عشان هيك كانت سهلة وبسيطة، الرجل ما بيقدر يعمل اللي بتعمله الست، والست ما بتعرف تعمل اللي بيعمله الرجل، وعشان هيك كانوا محتاجين بعض وما يستغنوا عن بعض، اليوم دخلنا على أدوار بعض، وكل واحد صار يدّعي أنه بيعرف يعمل شغل التاني أفضل منه، بدأت الندية والتنافس، قلبت مناقصة وكلو خاضع للسعر.. حأقولك قصة.

- تفضلي وإحنا شو ورانا غير القصص؟
- مرة أمي مرضت وكنا صغار، وطلبت من أبي يسخن الأكل عشان نأكل، قام ولع الغاز ونسي عود الكبريت مولع، يومها انحرق المطبخ وبحمد الله مرقت على خير بس كلنا يومها تعلمنا درس مهم، ممنوع..
- ممنوع حد يمرض.
- هههههه، لا ممنوع حد يأخد دور حد وإلا الدنيا ممكن تولع حتى لو من مجرد عود كبريت.
- شوفي يا خلود أنا هنا مش مطلوب مني أحل مشكلتك، أنت بتعرفي شو طلبي، وبعدين قولي مشكلته أنه عادي وتقليدي أنت من شو محرجة؟
- خلاص مش قادرة أتحمل أكثر من هيك، مش قادرة أتحمل تبادل الأدوار.

في هذه اللحظة عاد سيد للظهور في المطبخ، وكان يبدو محرجًا ويريد أن يقول شيئًا.

- في حاجة يا أستاذ سيد؟
= بصراحة يا أستاذة أنا نفسي تذوقي القهوة من إيدي، وأنا عايز بس من حضرتك ترجعي بالكرسي شوية، وتخليني أعبر وأوصل ناحية الغاز.

وفعلًا تحركت قليلًا وأنا أضحك وأنظر إلى خلود، وسيد مندمج في عمل القهوة وتقديمها لنا.

= هاه كيف بالله، مش مضبوطة وعليها وجه ومرتبة؟

- تسلم إيدك غلبناك، أنا عمري ما شربت قهوة زيها.

= بالهنا والشفا، تعالي كل يوم وأنا أعمل لك أحلى قهوة.

- خلاص يا سيد عندنا شغل أنا والأستاذة.

= ولا يهمكم.. خذوا راحتكم.

وعاد زوجها إلى غرفته، وأغلق عليه الباب مبتسمًا، وعدنا لمواصلة النميمة أقصد المقابلة.

- شو مشكلة زوجك؟ يا ريت ربنا يبعت لي راجل مطيع زيه؟

- ما عنده شخصية، لا طعم ولا لون ولا رائحة، باهت كده وشبه ناس كثير، وأنا بحب المختلفين، حتى لو كانوا غلط ومتعبين، ما فيش بحياته شيء مختلف، ما عنده تجارب، حياته كلها مرحلة واحدة، وبالمناسبة هو من النوع اللي مليان مزايا، ورغم هيك ما بتحبيه، عارفاه هذا النوع؟ اللي تحتاري ليش مش قادرة تحبيه؟ مع أنه عمره ما اتذاكى وعمل نفسه بيتفلسف عليّا، وفعلًا كويس ومسالم، وبالمقابل أنا على طول بحس بالذنب، لأني مش قادرة أحبه.

- آه بعرفو هذا النوع اللي مالوش روح مالوش بصمة، الروح اللي بتخلق الفوضى ونحسُّه مختلف، الترتيب والتنظيم والبرمجة عنده ناقصها روح، وفي ناس رغم كل عيوبهم ومساوئهم الواضحة، بس بتسألي حالك أنا كيف حبيته ومتى

واشمعنا. اللي زيهم بيكون عندهم الروح اللي مش فاهماها بس حساها وعايشاها.

- بالضبط أمور صعب تنحكى، تنحس بس باختصار أنا محتاجة زوج صديق، يشاركني وأشاركه الحياة، مش عايزة واحد كل يوم يبهت عليّا من روتينه ومحدودية نظرته للحياة، عايزة واحد يحب الحياة زيي، وعنده شغف في أشياء معينة، أقولك شيء وما تعتبريني ست تافهة؟
- أكيد.
- لما أجي من دوامي، وأكون منهارة وتعبانة بأتمنى يحضني، بس بأتذكر أنه مش حيكون حاسس بتعبي؛ لأنه من زمان ما جرب التعب اليومي.
- كيف ما بيتعب هو سيد البيت، وشايل كل البيت على دماغه؟
- هذا البيت واقف على دماغي أنا، هو استسهل قعدة البيت من سنين.
- طيب يا راجل البيت عايزة شيء مني؟ سلام.

ومدت السيدة خلود يدها للسلام فقلت لها: آسفة أصلي متوضية هاهاه.

في طريق عودتي إلى البيت راجعت قائمة المتصلات للمقابلات، وكانت أسماء عادية: تهاني، نيفين، حليمة، هناء.. واستوقفني طلب باسم مِنَّة ودينا، فقلت ربما هما زوجتان لرجل واحد، وهي فرصة نادرة ومقابلة لا تتكرر. واتصلت بالرقم المرفق ردت عليّ وعرّفت على نفسها باسم مِنَّة،

وقالت لي بأنها ستأتي هي وأختها بعد قليل، فأعطيتها عنواني. وهكذا خاب أملي وتصوري، وجلست في بيتي بانتظار مِنَّة وأختها. ولكن المفاجأة أن طفلتان قد دخلتا معًا من باب المدخل فهرعت للاستفسار:

- إنتو مين؟
- أنا مِنَّة وهاي أختي دينا، قرينا الإعلان وقلنا: نيجي نحكي لك قصتنا.
= بصراحة إحنا جينا من ورا ماما، ماما لو عرفت أن إحنا هنا حتعاقبنا.
- ليش ما لها ماما؟
- بابا تركها وراح اتجوز وحدة تانية، معاها مصاري كتير.
- أنت بتحكي جد ولا هذا فيلم أنتوا حضرتوه وجايين تعملوه عليّا؟
- أنا ومِنَّة عانينا كتير يا خالتو، وخايفين كتير على ماما، ونفسنا لو تساعدينا.
- أنت كم عمرك؟
- أنا 11 ومنة 8 سنوات، بابا وماما اتطلقوا، وماما حامل بمِنَّة وراح اتجوز واحدة تانية، بس ماما أحلى منها بكتير، ماما صرخت وعيطت وحكت لبابا: أنا بديش أظل معك، راح حكالها: حاخد دينا تعيش معي وتصيري لحالك، وفي يوم أجى يأخدني من المدرسة استغربت؛ لأني تعودت ماما اللي بتأخدني كل يوم من المدرسة.

= آه خطف أختي.

- شو خطفها يا مِنَّة يا حبيبتي ما فيش أب بيخطف بنته.

- كانت معه واحدة شكلها غريب، ومعها سيارة جيب، بعدين عرفتها بعد هيك أنها الست اللي بابا ترك ماما عشانها، قعد يضحك لي طول الطريق، وأخدني على السوبر ماركت، واشترى لي حاجات، وأنا أقول له وين ماما؟ وهو ما يرد، بعدين قال لي: دينا أنت كبيرة ومش بيبي، راح تيجي تعيشي معي، قعدت أعيط ورميت كل الحاجات اللي اشتراها، وكنت بعيط وأخبط فيه، وأضرب باب السيارة وأقول له بديش، وديني عند ماما هلا ماما بتستناني وأكيد قلقت عليّ. الست اللي معه صرخت عليّ وحكت لبابا: بنتك ناقصها تربية، قلت لها: أنت اسكتي أنت مالكيش دعوة فينا روحي اتجوزي واحد غير بابا، بابا إلنا إحنا وبس، وظليت أعيط لعند ما نمت من كتر التعب، ولما صحيت لقيت حالي في بيت مش بيتنا، أجى بابا وحكى معي قلت له: ماما وينها؟ أنا ليش هنا؟ إياك يا بابا يكون صار اشي لماما، أنا لازم أروح عندها وأكلمها، هلا بتكون اتصلت في كل صحباتي.

- طيب ياحبيبتي ليش ما حكيتي مع جدتك أو خالتك؟

- مش هنا ساكنين، كلهم بره، كل أهل ماما مسافرين، ودايما بيحكوا مع ماما من الجوال.

= آه ماما بتشتغل كمان، ومعها مصاري، ودايما بيكلموها من الشغل.

- طيب وأنت يا مِنَّة ليش ما روحتي مع دينا عند بابا؟
= أنا كنت لسه صغيرة. ماما ولدتني لحالها، بابا كان مع الست التانية، ماما اتصلت في صاحبتها، وراحت على المستشفى، ماما كل ما بتحكي لي اللي صار يومها بتكون بتبكي.
- طيب وشو صار يا دينا كيف رجعتوا عند ماما؟
- كانت ماما طول الوقت تحكي كلمة محكمة، لما صارت مِنَّة 4 سنين. بابا رجعني عند ماما، أنا كنت 7 سنين، وصرت أروح على المدرسة، وعشنا مع ماما بس ماما يا خالتو دايما لحالها، إحنا ما عندنا حد هنا، دايما بتعيط أنا بسمعها وهي بغرفتها بتكون اتعيط ولما أسألها: مالك يا ماما بتقولي كنت أحضر فيلم بيحزن. خالتو أنت لازم تساعدي ماما.
- كيف أقدر أساعدها؟ أنا على الأقل لازم أشوفها وتحكي معي كل اللي صار.
- مستحيل إذا عرفت أن إحنا حكينا راح تموتنا، لما اتصلتي فينا إحنا حكينا لها أن أحنا رايحين عند ميساء صاحبتنا علشان عيد ميلادها، وهي نسيت أن اليوم مش عيد ميلاد ميساء، ماما بطلت تركز بشيء كل الحق على بابا، وهديك الست البشعة أم الجيب.
= أنا كرهته.
- مِنَّة يا حبيبتي أنت لسه صغيرة وهذا بيظل بابا، وما بينفع نحكي عن بابا هيك، إذا أنتوا فعلًا بتحبوا ماما لازم اتظلوا جنبها لازم تقنعوها تحكي معي.

- خالتو ممكن أطلب منك طلب؟
- طبعًا حبيبتي تفضلي.
- ممكن توصلينا على البيت إحنا خايفين ماما تتصل فينا بأي لحظة، بس يا خالتو وصلينا لباب البيت وبس، وما تطلعي فوق لماما وانسي أنك شفتينا.
- كيف يعني أنسى؟
- بابا لو عرف اللي حكينالك إياه راح يأخدنا كمان مرة عنده، وإحنا ما بدنا نسيب ماما لحالها.
- يعني شو استفدت أنا الآن؟ لا قصة ولا ملهمة ولا بطلة، ولا حتى أعمل معروف وأرجع أمكم لبابا؟ أنا أساسًا بستاهل كل اللي جرالي، واللي راح يجرالي، معلش ده قديم أم كلثوم دي قبل الميلاد قبل ما تنولدوا قصدي قبل ما أنولد أنا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

#بوست_اليوم

في غزة

أكثر نسبة رومانسية، وأكثر نسبة زواج تقليدي، وأكثر نسبة طلاق، وأكثر نسبة إنجاب، وأكثر نسبة خصوبة.

11

أصبح تعدد الزوجات من المشاكل التي تسود المجتمع، وتهدد نسيجه الاجتماعيّ، وكنت دائمًا من المتسائلين: ماذا يعجب الصبايا؟ والتي تكون مستقلةً ماديًا، ولديها طموح وأحلام بالرجل المتزوج الذي لديه زوجة وأولاد، هل تعتقده ناضجًا بما يكفي لتؤسس معه أسرة؟ ولا تريد أن تتكبد في ظل الحصار وتبعاته؛ من بطالة وفقر بين صفوف الشباب عناء مشاركة حياة مع شاب من عمرها، قليل الخبرة والحيلة، ولم تطحنه بعد الحياة بين فكيها، أم هي مشكلة أزلية تنعكس على واقع مرير، لا يخلو من المشكلات، طالما كان التعدد وجبة دسمة للمسلسلات. كنا نتابع مسلسل "عائلة الحاج متولي"، ونحن موعودون بجرعة مكثَّفة من الضحك حول غيرة الزوجات، وحياكة المقالب المبتكرة للانتقام من الزوجة الجديدة، ولكن لم نكن نرَ الجانب المظلم من هذه الحياة.

مرَّت الأيام بسرعة، ووصلت قريبًا من معبر إيرز، أو بيت حانون في انتظار إنجي. لم تكن عندي مشكلة في التعرف إليها، فلقد حصلت على هاتفها من طه وتواصلت معها عدة مرات قبل وصولها، تأخرت قليلًا، ولكني لم أكن قلقة، فأنا أعرف تعقيدات المعابر والسفر، الداخل والخارج من قطاع غزة.

- الووو أنت فين بالضبط يا بنتي؟
- نهيل؟ أنتم كيف عايشين بدون مطار؟
- إحنا الدولة الوحيدة اللي بدون مطار، عشان تعرفي بس الاختلاف.. أهلًا فيك بغزة.

.....

- حمدًا لله على السلامة.
- دخلوا الأجانب بتعظيم سلام، أما أنا شوية ويخلوني أخلع اللّوز. إيه القرف ده؟
- أنت لسه شوفتي حاجة، معلش.. معلش، المهم أنك كسرت الحصار welcome to Gaza التي غزاها البين. عمومًا في أماكن كثيرة هنشوفها سوا، ستفيدك في الغرض اللي أنت هنا علشانه، هو أنت متخصصة في الجيولوجيا ولا البيولوجيا؟ طه حكى لي بس أنا نسيت؟ عمومًا أي حد يدخل قطاع غزة يزور نفس الأماكن مهما اختلف الهدف أو الغرض من زيارته، وأنا حافظة السيناريو.

.....

- نهيل، الطيارة دي حقيقية؟
- طبعًا حقيقية؟
- طيب واقفة كده ليه؟
- دي طيارة أبو عمار، تذكار يعني، وبعدين كل طيارات العالم بتطير، إحنا طيارتنا بتقعد زي العروسة في الكوشة، عندك اعتراض؟

.....

- نهيل إيه ده اللي فوق سطوح الناس؟
- دي زحاليق يا إنجي عشان الأولاد عندنا بتزهق في الصيف.
- وبتلمع كده ليه؟
- يعني أحيانًا تستعمل مرايا لتعديل المكياج.
- بتهرجي؟
- طبعًا بأهرج.. هذه ألواح لتخزين الطاقة الشمسية، وبنستعملها كبديل للكهرباء المقطوعة 12 ساعة، وأحيانًا 16 ساعة.
- مش فاهمة يعني طاقة شمسية، ويعني إيه ألواح.
- لاااا دي اختراعات لا يفهمها إلا أهل غزة، لا تهتمي ولا حتى تحاولي.. الحاجة أم الاختراع يا انجي. في زيارتك القادمة توقعي أنك تجدي فوق الأسطح اختراعات جديدة؛ مثلًا أكياس بلاستيك لتجميع الكهرباء، أو شبكات لصيد أشعة الشمس، أو زجاجات لتعبئة الطاقة.. لا تستغربي غزة من عشر سنوات بدأت بالشمع، واليوم ما شاء الله زي ما أنت شايفة شغالة على الطاقة الشمسية.. إحنا حالفين طلاق ثلاثة نقعّد اليابانيين في بيوتهم.. إحنا وصلنا للعالمية يا بنتي، وبطلت تفرق معنا أي أرقام.
- الله! هو أنتم فعلًا وصلتوا للعالمية؟
- طبعًا يا بنتي.
- إزاي؟

- أعلى نسبة فقر في العالم، أعلى نسبة بطالة في العالم، أعلى نسبة هجرة في العالم، وأعلى نسبة ناس بتشخر وهي نايمة، وكمان وهي صاحية في العالم، وأعلى نسبة ناس بتقطع ملابسها من القهر... مصانع الصين مش ملاحقة علينا ملابس يا بنتي.

.....

- إيه ده يا نهيل؟
- مكتب دبي لتيسير الزواج.
- والله؟ أقصد كلمة دبي مش عادية هنا.
- يعني كلمة تيسير الزواج عادية عندك؟
- آه عندنا في مصر نفس المكاتب، حتى اللي عندنا يمكن بروفيشنال أكثر، لكن توقعت مكتب غزة، مكتب رفح مثلًا، بعدين صوت إيه ده؟
- هذا يسمى الفدعوس يا ماما.. طبل بلدي وغالبًا كمان الأغاني مصرية، أو مستوردة زي كلمة دبي.. صحيح قولي لي أغانيكم في الأفراح شكلها إيه؟
- أول أغنية "نسألك الله لا إله" لهشام عباس.
- وبعدها؟
- والله وعملوها الرجالة لحمادة هلال.
- هههه يخرب عقلك.
- طيب وأنتم؟

- أول أغنية سلو.
- يعني إيه سلو؟
- على البطيء، أغنية رومانسية يعني، وبعدها تدخل أغنية يا أم العريس الله يحن عليك، يا مسعدة والسعد بين عينيك، وبعدين الكوبليه الثاني لخالاته وعماته.
- وإيه اللي دخل أم العريس في الموضوع؟
- المفروض إن أم العريس تقوم ترقص عليها، لكن اللي بيحصل أن كل الستات بيطلعوا على اللوج، وبتحصل زحمة كبيرة، ونحمد ربنا، لأن زمان كانوا بيولعوا شمع قبل ما يمنعوه دوليًا، وكانت معظم الفساتين تنحرق.
- طيب ودلوقتي؟
- صاروا يولعوا صواريخ.
- والفساتين؟
- تنحرق مش مهم، إحنا فرحتنا مرتبطة بالدمار.

.....

- صوت إيه ده يا نهيل؟
- ده قصف يا روحي.. بيلعبوا play stations في السما.
- وأنا أعمل إيه دلوقتي أنا خايفة؟
- لا تعملي شيء.. اعملي زي الراديو ما بيقول: خذي الحيطة والحذر، وتوكلي على الله.
- ودول آخذهم منين؟

- امشي.. امشي قدامي.

.....

- نهيل أنا لازم أتكلم مع سامي هو منسق الجولة، في عندي زيارة لأرض عيلة نسيت اسمها.. هو اسم مهنة تقريبًا..
- الحداد؟
- لأ.
- النجار؟
- أسماء دي بجد ولا بتهرجي؟
- يووووه عندنا كمان كوكتيل الحواس الخمس؛ الأطرش والأخرس والأعمى، وأسماء عائلات حسب الحالة النفسية: التعبان والغلبان، والزهقان والدهشان، والعرقان والطفران، والنعسان والمدلل، وفايق، وكمان رايق، وفي كمان عائلات حشرات، وعائلات حيوانات أليفة و....
- بس.. بس كفاية خلاص هو كان مجرد سؤال.
- استني أعد لك المناطق والعائلات الكبيرة.
- لا لا أبوس إيدك مش عايزة أعرف.
- عمومًا هذا هو التريد مارك الغزاوي؛ إحنا أحرار، يعني في الحصار كل واحد حر في الترينـد اللي يعجبه.
- حاسة كده إني نفسي أضرب حد.
- صلي على النبي يا حاجة عليها وجه.
- مين دي اللي عليها وجه؟

- لاااا اسمعي لا تركزي في كل كلمة أقولها؛ أحسن يصير معك صرع.
- طيب أفهمك إزاي؟
- مش ضروري تفهمي كل شيء، المهم المجمل يوصل، أو عندي اقتراح: أنا أعطيك الكتالوج تبعنا، وأنت وجهدك واجتهادك في الحفظ؟ شو رأيك؟
- ماشي، نجرب.
- خذي عندك: كلمة هَلْس وهي مسبة إياكِ تحكيها للسواق... بقسماط يعني بسكويت مالح.... مجدرة يعني كشري بدون مكرونة.... سماقية أكلة مكونة من خلطة شبه بودرة العفريت، إذا قدرت تحضريها ممكن تطلبي اللي أنت عايزاه منها زي المارد بالزبط.... أجنص يعني جديد لنج.
- أبوس إيدك كفاية.. تعرفي إن أسماء القنابل النووية، ووصفات الأدوية أسهل من مصطلحاتكم؟
- توكلي على الله... عمومًا سامي منتظرك عند أبراج حمد.
- مين حمد؟
- اللي بنى الأبراج.. على فكرة أنت ممكن تلفي العالم، وأنت هنا في غزة.
- مش فاهمة حاجة.
- عندك مثلًا مدينة الشيخ زايد شقق سكنية، عندك المستشفى الأوروبي، والأندونيسي، والتركي، والإماراتي ضمن القطاع

الصحي، وعندك للترفيه حديقة برشلونة، وعندنا طبعًا وبلا فخر حي البرازيل، وحي كندا، والحي السعودي، والحي النمساوي، والحي الياباني، وشارع باريس، وشارع شارل ديجول.

- يعني كل مكان في غزة من بلد مختلف؟
- نعم، إحنا نشجع العولمة، ومهتمون بالوحدة العربية، بكل جنسياتها متوافرة داخل المطبخ الفلسطيني.
- إزاي يعني؟
- خذي عندك: الصاج السوري، والشاورما التركي، والفرشوحة العراقي، والمفتول المغربي، والمنسف الأردني، والكبسة السعودية، والكبة اللبنانية، وطبعًا غير أننا تخطينا الحدود العربية، ولدينا القهوة البرازيلية، والبيتزا الإيطالية، والسوشي الياباني..
- بجد أبهرتيني.

- سمعت الشاب قال للسواق نزلني عند كاظم هو كاظم الساهر ساكن هنا؟
- طبعًا وكمان نادية الجندي ساكنة في منطقة الجندي، وهشام عباس ساكن في منطقة العباس.. عادي يعني.

.....

- الصاروخ ده إيه يا نهيل؟

- ما تخافيش هو واقف مش بيطير، بعدين لسه في مناطق مخيفة أكثر عندنا، انتظرونا.
- يا رب أطلع من غزة وأنا بقواي العقلية.
- كان غيرك أشطر.

أقنعتُ إنجي بالبقاء يومًا آخر في ضيافتي، فيومٌ واحدٌ لا يشبع ولا يسمن من جوع، الفتاة التي تتعرف إلى مكان ثري بالتغيرات والأحداث والمشاهد مثل غزة، غزة ليست مكانًا سياحيًا بالمعنى التقليدي؛ تلك الأماكن التي تتوافر فيها الرفاهية الفندقية، والخدمات المرورية المتطورة، وأماكن الشراء التي تخلع الدولارات من جيوب السائحين خلعًا. ولكن غزة تتميز بوجود حياة تقاوم الموت في أجمل صور التحدي، الفقر المدقع مع الأعراس والأمسيات الثقافية. الحروب مع المقاهي العامرة بالعاطلين، المولات الفخمة بجوار الباعة الذين يشغلون كل أرصفة غزة حاليًا. كل شيء ونقيضه في غزة. ولهذا وافقت إنجي بشرط أن أوفر لها كاميرا حديثة لتصوير بعض المشاهد والمناظر، خصوصًا المناطق العشوائية والحدودية.

لم يكن لديَّ مجالٌ للرفض رغم عدم امتلاكي للكاميرا، ولكن لا شيء يتوقف في غزة، وربك ييسرها بطرق عجيبة.

تذكرت جارنا إبراهيم المصور التليفزيوني، واتصلت به وطلبت الكاميرا ووافق بعد إلحاح، وتواعدنا على أن أستلمها منه في ميدان الساحة. أو ميدان العنقاء أو ما شاء الله له من أسماء.

- أهلًا نهيل، مواعيدك مضبوطة، امسكي.

- أنا طلبت كاميرا بس يا إبراهيم، لم أطلب مايكروفون ولا مسجل ولا أسلاك؟
- أنا آسف نهيل، خدمة مقابل خدمة، زميلي مقدم الحلقة اللي مفروض يعمل الريبورت غائب، والمقابلة ضروري تذاع بعد ساعة، وأنا معنديش حد غيرك.
- طيب أنا عمري ما عملت مذيعة، طيب شو أعمل؟ مش فاهمة؟
- تصرفي أنت شاطرة ومش خايف عليك، وكلميني إذا احتجت شيء، يلا سلام.
- طيب الحلقة بخصوص الطلاق ولا الحرب ولا الكهرباء
- أي شيء، ارتجلي يا نهيل ارتجلي.
- نهاااار أسووووود.

.....

- مرحبًا يا أخ.
- نعم يا أستاذة؟ بلوزة ولا بنطلون؟ عندي مقاسك موديلات وألوان، يا رب نستفتح منك.
- عفوًا أنا مذيعة، ممكن آخد من وقتك 5 دقايق؟
- مذيعة!! خذي يا أختي كل وقتي، شايفة الشغل مقطع بعضه، الله وكيلك من الصبح واقف على البسطة مافيش قرد واحد اشترى مني بشيكل، الناس طهقانة وزهقانة، الله وكيلك يعني بتحسيهم نفسهم يقلبوا البسطة على وجهي.

- يا أخي أنت ضيعت عليّا أحسن مقطع من التسجيل، ممكن تعيد اللي قلته؟
- لأ.. لأ.. أنا آسف الناس هنا كويسة ومحترمة، وماشيين في حالهم وكلهم ذوق.
- طيب طيب.. لا تقلق.. أنت كمواطن غزاوي كيف شايف الإقبال على السوق، خصوصًا البسطات زي اللي قدامنا، هل فعلًا المواطن يميل للشراء منها، وترك موضوع الشراء من المحلات؟ باعتبار المحل سعره غالي يعني؟ عفوًا يا أخ قبل ما تجاوب وتبدأ فقرة الشكوى، وتقعد تقطع في لبسك قدام الكاميرا من القهر، بتحب تختار خلفية صوت معينة ولا نترك السماء تجود بما لديها، نرتجل زي ما إبراهيم قال لي؟
- كيف يعني؟
- يعني حضرتك تفضل الرعد ولا القصف؟
- مين إبراهيم؟
- يعني عادي ممكن تحكي بدون مؤثرات مثلًا؟
- إبراهيم جوزك؟
- لا خلاص نخليها خلفية سوداء، تفضل إحنا جاهزين.
- أنا كمواطن غزاوي متفائل في بكرة، ودايمًا أقول إحنا شعب معدنه ذهب عيار 24، والفرج قريب والحمد لله رب العالمين على كل شيء، آي نعم أنا دخلي 20 شيكل في اليوم، وطبعًا

ولا بتعمل أي حاجة لواحد فاتح بيت، بس غيري ما بيدخل 5 شيكل، وأحب أحكي للمسؤولين: حلوا عنا وبيكفي اتابعوا أخبارنا أنتو إيش فش وراكو غيرنا، ومش عايزين نشوف ولا واحد منكم؛ لأن المسؤول بس عايز يأخذ مني ضريبة وأرضية ومخالفة. يعني كل هذا عايزين يأخذوه من ال20 شيكل اليتيمة.

- شد يلا؟
- أشد شو؟
- يا راجل شد؟
- مش فاهم؟
- شكرًا لك كانت معكم معاناة من معونات، أقصد من معاناة قطاع غزة، ونود أن نناشد أصحاب السلطة والقرار، بضرورة التدخل لإنقاذ الحال الذي يتدهور يومًا بعد يوم..... يا عم نسيت تشد البلوزة وتقطعها.
- وليش أعمل هيك، حقها مصاري.
- قصدي يعني مبالغة وأكشن.
- والله أنا فكرت فيها، وقلت أعمل زي جاري اللي قطع قميصه قدام التليفزيون، وصار مشهور بس قلت خسارة؛ البلوزة أديداس وهدية، المرة الجاية إن شاء الله.
- طيب تحب تختار أغنية نختم فيها الحلقة؛ في عندي مونامور، وفي شيرين جرح تاااني هو قلبي لسه طاب من الأولاني،

وممكن إذا بتحب صوت طيارات وجو رعب، عندنا كمان صوت موتور بس يمكن يكون natural مش مؤثرات.. ولا شو رأيك؟

- إحنا لا نهاب الموت، إحنا لا يهمنا طيارات ولا زنانات.
- لا يا عم ما تفهمني غلط.....
- وعلى القدس رايحين وحتى النصر.. حتى النصر...
- خلص يا عمي... ردك الله كان قصدي أقول لك....
- خاتشووو.
- لحظة يا عمو هو اللي صار مقدمة لشخرة، ولا حضرتك بتحاول أنك تتف؟ يعني زميلي وصاني أهتم بأدق التفاصيل.
- تفوووووو..
- خلص تمام.. وضحت الصورة.
- ووين هو زميلك؟
- راح مشوار.
- وأنت مين؟
- أنا نهيل.
- يعني مش صحفية.
- لأ بصراحة أنا بعمل خدمة مقابل خدمة، تسليك مصالح يعني، مضطرة عندي جولة مع أجانب.
- ععععععع....

- احممم.. شكلك تعصبت، وتقريبًا الآن موعد خلع وتقطيع البلوزة الأديداس... بجد بجد... شكرًا يا عمي... حقيقي قضينا معك وقت لطيف، وأنت إضافة حقيقية للبرنامج شكرًا لك وتحياتي.

.....

.....

12

كانت زيارة إنجي المكوكية إلى غزة علامةً فارقةً في حياتي، كي أستعيد توازني وروحي المرحة، وأن أخرج من حالة القلق والاكتئاب، فقد كانت إنجي مُشعةً ضاحكةً مندهشةً تمشي وكأنَّها تركض. كانت حالةٌ من الفرح والبهجة تفيض من حولها في أي مكان تزوره أو تمرُّ به، تمضي وعلامات الاستفهام الكثيرة تتقافز حولها، وكما أن الحزن معدٌّ فالفرح أيضًا معدٌّ، وفهمت الآن لماذا يمشي الناس في غزة، وكأنهم يسحبون خلفهم حملةً ثقيلةً من الهمّ والتفكير؛ نعم هي ليست مشاكلهم الشخصية، بل مضافٌ إليها كميةٌ من الحزن المُعدي الذي لا علاقة لهم به.

ما هي علاقتي أنا مثلًا بحمل كل مشاكل أولئك النساء اللواتي ألتقي بهن؟ هي مشاكلهنَّ لا مشاكلي أنا. ربما كانت لديَّ الرغبة في جعل كلّ النساء سعيداتٍ وإيجابيات؟ ربما، ولكنها ليست مهمتي، فلم توكل لي مهمة وزيرة السعادة. وزيرة السعادة!! يا ربّ ما أجمل هذا المنصب، وأفخم هذه المهمة..

فكّري يا نهيل ما هو أول قرارٍ لنشر السعادة بين النساء، وتوابعهن من الرجال والصبيان؟

مثلًا تشكيل طابور من السيارات، وإطلاقها في شوارع غزة تحمل السماعات الكبيرة، وتنشر الأغاني التي أحبها وأحفظها طوال اليوم، بدلًا

من تلك التي تدعو للمسيرات والحشود، والتي لم نأخذ من ورائها لا حقًا ولا باطلًا. حلو يا نهيل..

هاتي القرار الثاني؟ يمنع نهائيًا دخول النساء إلى المطبخ يومي السبت والاثنين، ويتفرغن لزيارة الصالونات، والخروج للحدائق، وزيارة الصديقات، وممارسة النميمة بحرية مطلقة، ودون التقيد بأي مواعيد للعودة إلى البيت.

نهاااار أسوود. أنت مطرودة من المنصب بعد خمس دقائق فقط.. وضحكتُ.

تذكرت السيدة نفوذ وقبلها السيدة أزمير.. حالتان تمثلان موضوع الزواج البزنس والطلاق البزنس وهو بلا شك موجودٌ دائمًا وفي كلّ المجتمعات، إلا في غزة، فكلُّ أيامنا السابقة كان الزواج لأسباب أخرى، والطلاق أيضًا، ولكنَّها أيام الحصار والانقسام، والتي تتغير فيها القيم والمفاهيم، وتطفو على السطح كل العيوب، وكل التشوهات في مجتمع صغير مثل غزة. وياما نشوف، وياما نسمع قصصًا وحكايات.

في اليوم التالي كنت في طريقي لمقابلة سيدةٍ أخرى، قالت إنها ستكون موجودة في جمعية دقة وزعتر، وهي جمعية نسوية تقدم خدمات لتوعية وتثقيف المرأة. هذه المرة كنت ذاهبة وأنا أمشي ببطء وتلكع، وأهز رأسي يأسًا ومللًا، فلم يتبقَّ لي من الموعد النهائي لتقديم طلبي للمنحة سوى أيام معدودة، وحتى اللحظة لم أجد الملهمة التي سأكتب عنها مشروع التفرغ. وفعلًا كما توقعت كانت مقابلة سوداء.. سوداء.. نعم سوداء مرتين.

- نفتح المحضر، توب علينا يا رب من هالشغلانة، اسم المتهمة يووووه قصدي الملهمة، ومين هاي اللي جايباها معك؟ ما علينا قصتك وبسرعة يا أستاذة.

1- هو ابن عمي وكنا عايشين ومرتاحين، وكله تمام والحمد لله، بس قرر يتجوز عليّا عشان يجيب الولد.

- آه أنت ما بتخلفيش يعني، ما عرفتيناش على الأخت؟

1- هلا بحكيلك، بس لأ.. لا سلامتهم يا أختي، عندي تيسير، وتمام، وجهاد، وحكمت، وإحسان.

- ما شاء الله كلهم صبيان.

1- ياااا ريت، لا يا أختي كلهم بنات، بس أبوهم سماهم على أسماء الأولاد، نفسه في الولد.

- بس هذا نصيب وأنت شو ذنبك؟

1- طول الوقت يزن.. يزن.. عايز يتجوز عليّا عشان يجيب ولد يحمل اسمه.

- هو اسمه ثقيل لهاي الدرجة، ما ينفعش يعني 5 بنات يحملوه؟ هو شو اسمه سبع البرمبة يا حاجة؟

1- النظير.

- أووووف يعني مش نظير، بل النظير؟

1- آه يا أختي ونفسه يجيب ولد عشان يسميه منقطع.

- أنت شكلك بتسرحي فيّا؟

1- لا والله يا خالتي الناس أكلت وجهنا، عشان لازم يصير أبو فلان.

- ليش هي الناس ما عندهاش أكل؟ برضو ما حكيتي لي مين هاي الأخت اللي منورانا وساكتة؟

1- هلا بحكيلك صبرك بالله، المهم قرر يتجوز الثانية.

- وأنت رضيتي؟

1- ليش لأ يا خالتي مش أحسن ما يرميني أنا وبناتي للزمن، وظل راجل ولا ظل حيطة.

- ما خلص هدينا الحيطة وعملنا ديكور، بعدين شو يرميكي يا خالتو، خليكي سميرة سعيد وماتكونيش إليسا.

1- كيف يعني؟

- يعني قولي له: أديني سبتو وشوفت أهو ماحصلش حاجة، وما تغنيش إفهم بعدك صعب. ما علينا طيب وشو صار بعد ما اتجوز؟

1- برضو مش مبسوط، وطلعت المشكلة فيه هو مش فينا.

- يعني جابت بنات كمان؟!

1- آه بس توائم.. نوائم.

- أنت شو اسمك يا خالتي؟

1- انتصار.

- يعني لو كان اسمك انهزام كانت النتيجة هتكون إيه؟ ومين حضرتك؟

2- أنا سميرة سعيد مش إليسا.

- ما فهمتش.

2- أنا ضرّتها.

- أهلًا وسهلًا، اعذريني في السؤال. ليش رضيتي بهيك وضع.. ليش ما طلبت الطلاق؟

2- أيامنا غير أيامكوا، إحنا زمان ما كان عندنا طلاق.

- كيف يعني؟

2- قصدي أقول لك: إنه على أيامنا بس الرجال اللي كانوا يطلقوا، ومعظمهم حتى ما كان يطلق، كان يرميها بدون طلاق، عشان ما يدفع مؤخر ونفقة.

1- آه معظمهم بيستغلوا أن الستات ما بتشتغل، وماعندها فلوس تصرف على حالها ويذلّها.

- وهي شو يصير معها؟

2- أبدًا.. تنكسر وتموت بحسرتها وقهرها.

- أعووذ بالله، الله على المفتري.

2- بس أنتوا أيامكوا أحسن، الست صارت تطلب الطلاق، وهي اللي ترمي الراجل.

- هو مش بالضرورة حد يرتمي، خلاص هو عقد وانتهى، تجارة وخسرت، صفقة وانطعجت، كده يعني خليكي كوول.

2- لا وفي ستات بتطلق هي، وبتدفع مؤخر للراجل.

- لا هذا اسمه خلع وبتدفعله كل شيء خسره في الجوازة.

2- يا بختكوا إحنا اتلطمنا، طيب احك لي يا خالتي: شو مواصفات الراجل اللي بيناسب بنات جيلكوا؟

- يكون multi.

2- إلحقي يا انتصار بتقولك مالط ما أقواهم بنات هالأيام بخجلوش يختي.

- لا يا خالتي شو مالط تودنيش بداهية، قصدي راجل متعدد.

1- واااال يعني بحب يتجوز كتير زي جوزنا.

- أرجوووك ركزي معي في فرق بين متعدد وبحب التعدد، multi يعني راجل بكذا ميزة، راجل شامل، يعني الجد والدلع والرومانسية والشهامة، وبيفهم في الأصول، وفرفوش مش نكدي وصاحب مواقف وشخصية، بصراحة بدنا فيه كل شيء، عشان يكون فعلًا رفيق للرحلة، وشريك حياة حقيقي.

1- شو بتقول هاي والله ما أنا فاهمة ولا كلمة.

- المهم يا خالتي أنت متأكدة إنك قريتي الإعلان صح؟

2- آه يا خالتي بالأمارة حكولنا هاتوا... إيش يا انتصار؟

1- الورق وكرت المؤن؟!!

2- آه زي ما حكتلك انتصار.

- أي ورق وأي كرت مؤن أنت بتحكي عن شو؟!

2- مش أنت اللي اتصلت علشان الكوبونة؟ سألنا بره حكوا لنا: إنه آه وإنك بتستني فينا فدخلنا، هو مش أنت السكرتيرة؟

- .....

2- مش المطلّقة بيطلعلها شؤون؟ كمان بنعرف هذا الكلام أم سائد جارتنا، حكتلنا هيك بس يلا كله نصيب، يلا يا انتصار إحنا اتأخرنا.

1- مش عارفة ما لها الأستاذة زي اللي انشلت. سكتت مرة واحدة.

2- يلا يا أختي أحسن يتهموها فينا.

3- يعني إيه؟ ما فيش كوبونة؟

- أنت مين يا ست أنت كمان؟

3- أنا مراته نمرة ثلاثة، وكنت واقفة بعيد بس سامعة كل الحوار.

- طيب أصل أنا مش....

3- لأ.. اسمعي لما أقول لك.. تعمليش فيها سهتانة.. آآآآه طلّعي الكوبونة بسرعة.

- .....

3- ألوووووووووووووووووووو.

.....

.....

#بوست_اليوم

//عرض اليوم//

تخفيضات على العلاقات

خد علاقتين والتالتة مجانًا

الحق حالك قبل نفاذ الكمية

13

بعد أن نجوَت باعجوبةٍ من بين فكوك الزوجات الثلاث الغاضبات، حاولت أن ألمَّ شملي على نفسي، شعرتُ بالأسى الفظيع، فكم تختلف النساء بعضهن عن بعض، هنّ أكبر همهن أن يتجاوزن أيامهنّ ويتحايلن على مرارة الأيام بكوبونة، وأنا همّي من نوع مختلف، ممكن أن يكون بالنسبة لهنّ رفاهية، أو كلام فارغ، وكأنيّ من كوكب آخر، وبالتالي فأنا أعذرهنّ، دائرتهنّ ضيقة، وعالمهن متناهي الصغر. فمن قال إن النساء يجمعهنّ على الأقل طريق واحد، أنا من قلت هذا الكلام؟! ربما! ولكني اكتشفت أنني كنت خاطئة. لا، نحن مختلفات، ومختلفات جدًا، بل مختلفات جدًا جدًا.

ما زلت عندما أشعر بالتيه، ألجأ إلى صديقي طه؛ هو المرفأ، والبوصلة، والمرآة التي لا تكذب عليّ ولا تخدعني، فوجدتني أجتاز هذا النفق المظلم، وأنتظر جلسته على الماسنجر لأبثه شكواي وضياعي كالطفلة التي تحتاج إلى نصيحة.

- أول مرة أحس بالجملة التقليدية اللي بتقول وما زال البحث مستمرًا، أنا حاسة إني هاموت يا طه.
- ما هو لازم تموتي علشان توصلي لهاي القناعة والحقيقة، هي كده. الحقائق لازمها تضحية، ما فيش حاجة سهلة، ولا

حسب توقعاتنا، الحياة يا نهيل وببساطة دايما بتفاجئك، وأنت لازم تكوني مستعدة.

- ليه الناس بتكذب؟

- العالم الافتراضي كله نصب، وأنت غلطتي لما أصريتي تدوري على قصة حقيقية في عالم أصلًا افتراضي.

- جاوبني يا طه ليش الناس بدها تقول لي قصصها حتى لو كانت غلط؟

- عايزين ينشهروا أو يكونوا أبطال، ولو بالكذب، كلنا عايشين واتربينا على فخامة البطل. عمرك سمعت عن "العرة حسن" أو "عبيط مان" إحنا زي ما تربينا على الحواديت، اتربينا كمان أنه كل حدوتة لازم يكون لها بطل، وكلنا ما شاء الله عايزين نكون أبطال، واللي ما قدرناش نكونه في الحقيقة عايزين نكونه في الخيال، اتربينا على جرينديزر، والكابتن ماجد، والأمير اللي بيخطف الأميرة بوسامته، وسلاحف النينجا، وكلها نماذج أبطال وإيجابية. ما تعلمناش كيف نصحح أخطاءنا ونعالج عيوبنا، أو على الأقل نواجهها، ودايما بنهاجم اللي ينتقدنا. أعطونا قوالب من وإحنا صغار، وكبرت معنا، وصرنا نعشقها وندور عليها في الواقع، وعشان كده انصدمنا وصار عنا انفصام.

- معقول الحصار خلى الناس تكذب، وحصار المسلسلات خلاهم يعيشوا دور مش دورهم؛ تركي ومكسيكي وكوري.

الناس بدها تحكي حواديت، بدها تعيش جوه حدوتة حتى لو مش ليها. لابسين طول الوقت ثوب مش ثوبهم، تبًّا للحصار. صارت الناس صيني تيواني بتشبه أي شيء إلا حالها، هشة بتنكسر من أول وقعة. الحصار فرغنا من محتوانا.

- نهيل هو أنت بتدوري على إيه؟
- على الكنز.
- جاوبيني على سؤالي.
- بادور على شخصية حقيقية من واقع حقيقي يعكس مشكلة حقيقية تعطيني قصة حقيقية.
- مش حقيقي، انت بتكدبي على نفسك، عارفة ليه، لأنه الحقيقة مملة ومابتعملش أكشن، الزيف دايما أمتع، صح كلامي ولا غلط؟ وعشان كده سبتي العالم الحقيقي ورحتي على الافتراضي الوهمي رغم أن العالمين كانوا قدامك.مكتبة
- يووووه أنت كمان حتبكتني؟ هو أنا ناقصة؟
- يعني إيه اتبكتني؟
- يعني تحطني في باكيتات.
- المهم لقيتي الكنز؟
- لقيت مشاكل وعقد وكوارث، لقيت ظلم وافترى، الراجل مسنود ومنصور والست هي اللي دايما بتحاسب على المشاريب، مجتمعات عايزة ثورات عشان تتغير وفش فايدة، وأنا طلعت مفلسة، لا لقيت كنز ولا حتى قصة.

- أنت دايمًا كده عايزة الحاجة تجيكي لعندك، مستسلمة ومهزومة، ومشكلتك إنك أسيرة فكرة واحدة: إنك كاتبة تبحث عن ملهمة، مش يمكن أنت تكوني الملهمة لكاتب أو فنان أوعاشق آخر.
- والنبي تتلهي ما أنا مش ناقصاك يا عم الفيلسوف.
- وسرت وحدي شريداااااا محطم الخطواتي تيراراراااا جباااااار.
- خلاص يا طه أنا شفت المشهد ده قبل كده.. أنا واحدة فاشلة لا لقيت فكرة ولا ملهمة، ولا حتى لقيت حالي. حدوتي ضاعت بين الحواديت، أنا عايزة أنام تعباااااانة وراسي حيتفجر.
- تصبحي على خير يا بطلتي، ومرة تانية إياكي تقولي إنك فاشلة، وإذا فيه سترونج أندبيندنت وومن فهي أنت والإلهام جواكي، بس لازم تنفضي الغبار، علشان يلمع ويبرق ويبان. انفضي غبار الأيام والإحباط. وفي يوم حتلاقي طريقك، والأهم من ده كله ماتحاوليش تحكمي على حد من كلامه، صدقيني المواقف هي اللي بتفرق بين الحقيقي والمزيف.
- عمرك سمعت عن سترونج أندبيندنت وومن طولها 160 سم؟
- هههههه يا بنت الإيه.

14

بعد مرور أيام، هاتفني صديقٌ لتقديم حلقة تلفزيونية تجريبية، تتحدث عن النساء ومشاكلهنّ وتحدياتهنّ في زمن الحصار، فوافقت في الحال، واعتبرتها فرصةً لن تتكرر، فلربما أجد مجنونتي وأنتهي من هذا الصداع. لا أحد يعلم من أين يأتي الإلهام؟! والحياة دائمًا تفاجئنا كما قال لي طه...

في الأستوديو كانت السيدات الضيفات بانتظاري مع المخرج ومهندس الصوت، دخلتُ في الغرفة المخصصة للتسجيل بعد أن ثَبت لي التقنيُّ المايك ولبقية الضيفات، وهنا قبل أن تعترض إحداهنَّ قمتُ أنا وثبتُّه لها، وبدأت مباشرة:

أنا: حيث إن يوم المرأة العالمي كمان شهور أنا مطلوب مني أعمل حلقة بايلوت. وبصراحة مش حالاقي أفضل منكن تساعدوني. الحكي حيكون مسجل والإعداد عندكوا. إذا عجبكوا الشغل حنذيع، ما عجبكوا مش حنذيع. شو رأيكم؟

الضيفة 1: توكلي على الله

أنا: نبدأ معك. حضرتك مطلّقة؟

الضيفة 1: أنا مخذولة ولستُ مطلّقة، لما الواحدة تنخذل بتصير بني آدمة تانية غير اللي كانت. بتطلع منها شغلات جبَّارة، بس مش بالضرورة تكون اسمها قوة، بس كمان مش ضعف. والست هاي لأنها

اختارت ما تكون ضحية ممكن ينقال عنها حاجات كثير، ولما ما لقوا اسم لهاي الحاجات سموها جبروت.

أنا: حضرتك ليش انفصلتِ؟

الضيفة 1: زوجي مش راجل.

أنا: عفوًا أنتوا عندكوا أولاد؟

الضيفة 1: لا لا مش قصدي كده، بس يعني تحتاري في تصنيفه، تفسيره للرجولة غريب، الرجولة عنده بتتجزأ، مش عايز يعرف اللي مش له أو متجاهله، مع أنه فاهم كل شيء، وليش لأ طالما المجتمع في صفه، ييجي يقول لك مثلًا: "الرجال قوامون على النساء". بس مش غلط لو اشتغلتِ وساعدتيني بالمصروف، ما هي الحياة غالية! حافظ لك مثلًا: أنه الشرع محلل 4 وبس. مش فاهم أنه لازم يراعي ربنا فيهن، ويعاملهن بالحسنى "ورفقًا بالقوارير". بني آدم حتى الشرع والدين بيستعملهم لصالحه، ومفصلهم على مقاسه، عايز واحدة هبلة. تكون عمية وخرسة وطرشة، شو ما يقول لها تعمل، تقول حاضر بدون مخ، وهذا كله ليش؟

الضيفات: عشان "الرجال قوامون على النساء" هههههه.

الضيفة1: هههه وراجل بالنموذج هذا كيف بدي أتعامل معه، ما هو يا ألغي حالي، يا ألغيه من حياتي. صح حققت نفسي ونجحت، وتفوقت في عملي، وصرت مديرة، وعندي امتيازات، بس للأسف في شيء ناقص، كان نفسي حد يشاركني هذا النجاح، أو أورثه لأولادي، ويكونوا فخورين فيّا، مشي العمر ونسيت أكوّن عيلة، وخايفة من اللي عملته طول عمري يتنسى مجرد ما أروح.

أنا: الواقع غير الحقيقة يمكن لو صار عندك هالولد أو هالبنت كان اتقيدتِ، وما قدرتِ تعملي شيء وانطفى طموحك، وصرتِ زي أي أُم تؤجل طموحها وأحلامها لعند ما يفوت الأوان.

الضيفة 1: كلام سليم ومع ذلك أنا مش ندمانة على مشوار عمري.

أنا: كنا مع قصة واختيار ومستقبل وقرار، صاحبته مسئولة عنه، ونبقى الآن مع السيدة إنشراح ونسألها عن رأيها في الموضوع المطروح؟

الضيفة 2: أنا بشوف شيء ثاني. أنه إحنا كمجتمعات شرقية عايشين وهم كبير عن الحرية والاستقلالية، إحنا مش عايشين عشان حالنا، إحنا عايشين عشان نرضي الأب والأم والعيلة، والمجتمع والناس، واللي بيعارض هذا الكلام بيدفع الثمن، ما في حد فينا حر. بس للأسف الكل بيكتشف هذه الحقيقة بعد ما يكون دفع الثمن، عندنا شغلات أهم انجبلنا عليها من طفولتنا، وشفناها في آبائنا وأجدادنا.

أنا: زي شو؟

الضيفة 2: زي العيلة، العزوة، اللمة هاي أهم شيء بحياتنا، بعده بيجي الشغلات الثانية زي الطموح، تحقيق الأحلام، career، اكتشاف الذات. تعلمنا من صغرنا إنك بدون عيلة لا تسوي شيء. العيلة هي الهاجس اللي انولدنا واتربينا وموتنا عليه. مع إنك ممكن تكوّني عيلة كبيرة، بس كل شخص في حاله. تفكك وغربة وشتات بين كل فرد في العيلة، بس خلاص اسمها عزوة، اسمها فلان عنده 4 شباب وبنتين وهكذا. الغرب بيكوّنوا عيلة وهما مش حاسين، ومش باذلين مجهود،

ومش موقفين حياتهم، وهذا الفرق بيننا وبينهم، من يوم ما بتنولدي: متى حنفرح فيك؟ بتقوم البنت بتتجوز بيسألوها متى حتجيبلنا الولد؟ بتقوم بتجيبه، ها متى حتجيبي لعمر أخ؟ وإذا كانت سلوى متى حتجيبي لسلوى برضه أخ مش أخت وهكذا. والعمر يمر من قدامك وأنت مش حاسة بنفسك، وبعد هيك بتصحي على حالك، وعندك 60 سنة مقضياها فرجة على المسلسلات التركي، وقناة فتافيت، والشيف شربيني. وإذا راجل مقضيها متابع لعبات ريال مدريد وبرشلونة، مع أنه عمره ما حب الكورة. ووقتها بتكتشفتي أنك عملتي حاجات كتير في حياتك صح، بس كلها للعالم والناس والعيلة مش لنفسك؛ يعني عمرك ما سألت حالك شو الرياضة اللي بتحبيها أو الهواية، قضيتي عمرك تلبي رغباتهم هم، ورغباتك تاهت بين البمبرز والرضاعة والأمومة، وعروض التخفيضات، وفلانة اتجوزت وفلانة أبوها مات؛ ولّا شو بدهم الناس يحكوا عنا؟ الناس الناس الناس. هي هاي القضية اللي بتتمحور حولها حياتك، وإحنا ضعنا وتهنا بين الناس، قليل جدًا جدًا اللي ماعملوا هاي الشغلات وسمعوا صوت العقل، وعاشوا حياتهم زي ما بدهم، بس صحيوا على كابوس اسمه الوحدة. عشان هيك بيدفعوا الثمن، وصح أحيانًا بيخسروا، بس بيكسبوا حالهم وحالهم لوحده مش كفاية. بيكون العمر راح، وقول للزمان ارجع يا زمان اللي بيمتلك الشغف، والصبر كسب نفسه بس كمان في نظر المجتمع فاشل، وخسر رضا وامتنان المجتمع والعيلة. المفروض كل واحد فينا يرضي رغباته وينبسط، ويجرب ويجرب وسواء خسر أو كسب، فهو على الأقل عاش.

أنا: وحضرتك؟

الضيفة 3: الحياة سريعة أسرع بكثير مما تتخيلي، كلنا تايهين في الزحمة، ما حد مهتم إذا كنت سعيدة أو تعيسة، أو حتى ضايعة، مين مهتم لك تكتشفي الرغبات اللي جواكي، أو أنك تحرري حالك؟ إحنا في بلد فيها ناس بتقعد بلا أكل أيام، ناس معهاش تلبس، ولا تشرب، ولا تتدفى، المستشفيات مليانة أمراض سكر، ضغط، كبد، كلى، سرطان، التسول بيزيد، فيه سرقات حتى في البنوك. إحنا في أمة صار فيها تفجيرات، وتشريد، ومجاعات يا دوب تأخذي نفَسك بيكون في مكان ما 10 بيموتوا بانفجار أو قصف، أو حتى انتحار، مين راح يترك متابعة الأخبار ويسأل نفسه: إذا كان سعيد أو تعيس؟ مين فاضي لنا يا ست نهيل؟ مين فاضي للجواب اللي بتدوري عليه بين كل البشر؟ تصدقي إني عمري ما سألت حالي هذا السؤال: لأني بخاف من الجواب. أصلًا أنا مش فاضية أسأل حالي هيك أسئلة، أصحى على الخمسة، وبأنام على التسعة وبين الخمسة والتسعة مشاوير ودوام ومسئوليات، وأحيانًا مجاملات، وكمان واجبات، السوبر ماركت، اللحام، الأولاد من المدرسة، والبنات من عند أقاربنا، الولد بدو يروح الملعب يلعب كورة، والثاني بدو يتعلم سباحة، لازم أجيب اللحمة طازة، والفستان من عند الخياط، والبن الطازة من المطحنة البعيدة، وبدك أترك كل هذا، وأقعد واتمدد واستقبل حالي، وأعزمها على فنجان قهوة، وأطلب منها تركز معي شوي، واتصفي ذهنها عشان أسألها هالسؤال!!! أنت مطحونة حَب، ولا بودرة، مش أنت سعيدة ولا تعيسة؟ وكمان قاعدة بأدرس

للماجستير، الامتحانات على الأبواب، وفرح سلفي الجمعة الجاية، وامتحانات أولادي أول الشهر، وأترك هذا كله وأقعد مع حالي أسألها إذا كانت سعيدة ولا لأ؟ عنها ما كانت. المهم تعيش وتعمل كل الحاجات المطلوبة منها؛ لأنها اذا تعبت أو فكرت تأخد استراحة يوم واحد، فكل هاي الشغلات بتنهار، والعمود الواحد اللي مبني عليه هذا الكون بيوقع.

أنا: لكن وجودك هنا اليوم بيدلل أنه عندك مشكلة بحياتك، صحيح؟

الضيفة 3: مشكلتي أنت وكل اللي بيفكروا بطريقتك.

أنا: مشكلتك أنا؟ وأنا عفوًا بشو ضايقتك؟

الضيفة3: بتدوري على المشاكل مش على الحلول، جيل متمرد مش عاجبه شيء، لا بيحب يتنازل ولا بيضحي، فاهم الحياة من خلال المسلسلات والأفلام، بدكم حياة مثالية بدون أي تعب أو مجهود.

أنا: اسمحيلي أقولك إن أنتوا اللي بتدوروا على المثالية، إحنا واصلين للحقيقة من زمان، أنه ما في حياة مثالية، وهذا مجرد وهم، انت وجيلك المكافح اتربيتوا عليه. هذه كلها عقد نفسية وآخرتها تموت من الاكتئاب والتعاسة، أو حتى تعيش مش فارقة كثير، بعدين منى وسهير حكوا أنه الأم الجيدة هي المصطلح الأدق والأصح من الأم المثالية.

الضيفة 3: مين منى وسهير؟

أنا: برنامج الستات ما يعرفوش يكدبوا

الضيفة 3: أهاااا أنت فاكرة أني عندي وقت أحضر الكلام الفارغ هذا؟

أنا: هذه ثقافة وعلم، المشكلة مش في الوقت، المشكلة في ضيق الأفق وعدم تقبل الآخر، ولا استيعاب اختلافاته.

الضيفة 3: اسمعي لما أقولك ومن الآخر: جيلنا كافح وتحدى الصعاب، وانتوا جيلكوا شو؟ عايش حالة رفض يوازيها عجز على قدر ما أنت رافض وضعك وواقعك، بس كمان تحسي بالعجز إنك تغيري أي شيء. القوة اللي بتنفرض عليك وما بتكون من اختيارك، هاي قوة هشة ما فيش أسهل من تبديدها، زي الدخان بتتلاشى من أول نفخة، إحنا ما انخلقنا أقوياء، بس صرنا أقوياء علشان ما حد يستضعفنا.

أنا: طيب كمان مرة شو مشكلتك؟

الضيفة 3: أنا قلت وأكرر إن مشكلتي إني ما عندي وقت أسأل: هل أنا سعيدة أو تعيسة؟ هذا سؤال رفاهية أنا تجاوزته من زمان، أنا في طاحونة أدور فيها 24 ساعة في اليوم، حتى وأنا نايمة رأسي بيلف؛ لأنه بيكون في مشاكل لازم أحلها، أنا ناظرة مدرسة؛ جسمي ينام وعقلي يعمل طوال الوقت.

أنا: لكن عندك وقت تحضري معنا وتسجلي حلقة لمحطة فضائية! أنا أشكرك.

الضيفة 3: لأ، أنت بتسخري مني.

أنا: إطلاقًا أنتم جيل غير قابل للنقد.

الضيفة 2: الغريب إنه كل الظروف بتتواطأ على الست، حتى تصبح قوية، وتفقد الإحساس بنفسها، بضعفها، بأنوثتها، ساعتها الكل يقول

عنها قوية ومفترية، بس ما حد بيشوف، ولا بيعرف ليش أنت هيك. القوة مش دايمًا ميزة بس هي اللي اختارتنا.

الضيفة 3: كان نفسي أكون ست ضعيفة ومنقادة، ومعتمدة على غيري، كان رأسي ارتاح من زمان.

أنا: معكم ضيفتي المتناقضة التي سعت إلى القوة، وحصلت عليها، والآن تشتكي منها، السيدة التي تتصارع داخلها الأشياء وضدها.

الضيفة 3: احترمي نفسك؟

أنا: أنا محترمة رغم أنفك.

الضيفة 3: أنفي أنا؟ طيب روحي شوفي أنفك أنت.

الضيفة 2: آه أنت مناخيرك قصدي أنفك في السما وشايفة حالك علينا.

أنا: طيب ما أنت كمان مناخيرك كبيرة، وأنا ساكتة من الصبح.

الضيفة 1: أنا منقبة محدش يجيب سيرة مناخيري.

أنا: لأ، لازم نشوفها وبعدين نتكلم.

وفورًا وبدون سابق إنذار وجدتُّ نفسي مجددًا وسط معركةٍ بالكلمات وبالأيدي مع ثلاث سيداتٍ غاضباتٍ أُخريات، وبالكاد خرجتُ بجلدي سالمًا، ولكن شعري كان قد تعرض لمحاولة شدّ عنيفة، ولا أدري لماذا حين تبدأ معركةٌ بين النساء، فإن الشعر لا بد أن يكون أول الضحايا! خرجتُ من المكان، وأنا أسبُّ وألعنُ الوظيفة التي خسرتُها، وعدت منهارة إلى البيت.

#بوست_اليوم

غزةُ تشبهُني،

عشوائيةٌ مزاجيةٌ عاشقةٌ

إذا رتبتها أصبحتْ عاديةً

وإذا حاولتَ تصنيفَها ضِعتَ فيها

وإذا قيَّدتها فقد خسرتَها

بين هدوئها وثورتها لحظةٌ واحدةٌ

مدينةُ السلام ومدينةُ الحروبِ

ملجأ آمانٍ وعدمُه

هي كلُّ شيءٍ وعكسُه

متطرفةٌ

تُعاشُ ولا تفهمُ

– أنا –

15

لم أشعر بمرور الأيام التي مرَّت عليّ وأنا جثةٌ نائمةٌ على السرير، بشعري المنكوش، ونفسيتي المضطربة، وأفكاري المشوشة، فلقد كنت مجهدةً لأقصى درجة، من ثقل أسابيع غريبةٍ لم أتوقع يومًا أن أمرَّ بها.

فتحتُ جهازي اللاب توب والذي كنتُ قد هجرته لمدةٍ طويلةٍ، حيث كنت أكتفي بتدوين ما يحدث معي من يوميات وتفاصيل ومقابلات، لم أكن قد راجعت الأنبوكس في الفيس بوك؛ لأني لم أعد أكترث بطلبات المقابلات، وكنت قد ألغيت الفكرة تمامًا من رأسي، وبالصدفة مرَّت يدي وأخذتني لأفتح بريدي المتراكم، كانت صدمةٌ كبيرةٌ عندما وجدتُ رسالةً مطولةً مرسلةً، ومعنونة باسم Alaa!! فقلت في نفسي: نعم يا سيدة آلاء، خير إن شاء الله؟ فتحت الرسالة، فإذا بها تخبرني بقصتها الغريبة والمثيرة للاهتمام، الانطباع الأول كان سؤالًا خطر ببالي: لماذا لم تطلب هذه السيدة مقابلتي كعادة من يكتبن لي؟ وقرأت الرسالة:

"أنا متزوجةٌ منذ 10 سنوات، وعندي ثلاثة أولاد، أخبرني زوجي أنه سيسافر مع أصدقاء له إلى القاهرة، وقال: إنها رحلةٌ غير مكلّفة، وستكون فرصة للترفيه عن نفسه، فلم أعترضْ؛ حيث كان زوجي يمرُّ بظروف صعبة في الفترة الأخيرة، بعد فقده لعمله بعد تقليص عدد من

الموظفين، بسبب الوضع الاقتصادي، وبعدها دخل في حالة من الصمت والاكتئاب، وأصبح مثقلًا بالهموم ودائم التفكير، ولم يعد ينطق بكلمة واحدة، ويجلس في البيت، ولا يخرج أيامًا متتالية، وذهبت كل محاولاتي سدى للتخفيف عنه ومواساته. وهكذا رأيتُ أن الرحلة التي قال: إنها لن تزيد عن أسبوعين ستكون فرصة جيدة للتغيير. قال لي: أن أصدقاءه قد رتبوا الأمر جيدًا، وفعلًا ودع الأولاد قبل أن يذهبوا إلى مدرستهم، ثم ودعني وبكى كثيرًا. كنت أضحك متفائلة كعادتي، واتهمته بالمبالغة في الأمر، فهي مجرد فترة أسبوعين. غادر البيت بسرعة، بعدها سرقتني الأيام بدوَّامة المسئوليات الكبيرة التي وجدتُ نفسي أحملها؛ فلديَّ عملي، ورعاية الأولاد، وأضيف إليها مهام زوجي من تسوق، وتوصيل الأولاد إلى المدرسة، والقيام بواجبات الوظيفة، وتدريس الأولاد، والقيام بكل شؤون البيت، حيث كنت وحدي، ولم تكن عائلتي بجواري، ولا أصدقاء.

قبل انتهاء مدة الأسبوعين كان سيوافق عيد ميلاد زوجي، فأردتُّ مفاجأته هو وأولادي، فصنعت كميةً من الحلوى، واشتريت كعكة كبيرةً، وأشعلت شمعة، ووضعتها في وسطها، وطلبت الاتصال به من خلال السكايب، لكنه لم يرد، عاودتُّ الاتصال مراتٍ عديدة دون جدوى، أصابنا الإحباط، وانفضَّت الحفلة المنتظرة قبل أن تبدأ، وانشغل الأولاد في دروسهم.

اثنان فقط لم يتحركا من مكانهما: أنا والشمعة، وكلٌّ منا تحدّق إلى الأخرى؛ الشمعة تحترق ببطء وتذوب دموعًا، وأنا أحترق ببطء وأذوب

قهرًا. لقد أردتُّ أن أصنع له يومًا جميلًا يعوضه عن غربته، توقعتُّ أنه كان مشغولًا مع أصدقائه، ولم ينتبه للهاتف، شيئًا فشيئًا تناسيت الموضوع، وعدتُّ لانشغالاتي اليومية. يبدأ يومي من الساعة السابعة، وينتهي وأنا مثل جثة هامدة على السرير.

انقضت ستة أيام ولم أتلقَ منه أية مكالمة، بحثتُ عن حسابه على الفيس بوك، فوجدته مغلقًا منذ مدة، انتابني القلق والخوف من أن يكون قد أصابه مكروه، وحاولت ألّا يتسرب هذا القلق لأطفالي، وبدأتُ الاتصال بجميع أصدقائه حتى أطمئن عليه، وهنا دبَّ الرعب في قلبي بشكل مؤكد؛ فلم يجبني أحدٌ، بل كانوا يتهربون من الإجابة. تابعتُ بلهفة أخبار السفر والمسافرين، فلم أعثر على أي شيء يدلُّ على حادثةٍ أو شيء غير عادي خلال الفترة الماضية.

فقط الله يعلم كم كانت اللحظات قاسية ومؤلمة، وأنا أفكر في السيناريوهات المحتملة؛ فلربما سُرق أو قُتل، أو ربما أصابته نوبةٌ قلبيةٌ وهو وحيدٌ في الفندق. ضج رأسي بالأفكار السيئة وغير المتوقعة، وازدادت قسوتها؛ لأني لم أجد من يشاركني هذا القلق وتلك الحيرة. بدأت في ارتكاب الأخطاء في إعداد الطعام؛ أنسى المِلحَ، أو أحرق الخبز، فقد كنت مشتتة الفكر، وازدادت شكوى الأولاد مني، وكانوا يتركون صحونهم كما هي، وزادت فترات انعزالي وبكائي بحرقة، وأنا وحيدة في غرفتي؛ فلم أكن أملك الشجاعة لنقل مخاوفي إلى الأولاد.

لم يكن بوسعي أن أصرخ فيهم: أنا أمُّكم الرائعة التي لا تخطئ، ولكن اعذروني فأنا سأموت من القلق.

جاء ولدي الصغير ذو السنوات الأربع يشكو لي من جوعه - وهو الأكثر شهية بين الأولاد - ويشكو أن طعامي لم يعد مثلما كان شهيًا ومرغوبًا. ما ذنبه؟ فهو لا يعرف ما أمُّر به، وليس عليه أن يعاني معي، ليلتها لم أنم دقيقةً واحدةً، وشعرت بألمٍ في قلبي، وكأنَّ سكينًا تخترقه وتحزُّ فيه كلما تذكرتُ كلمات صغيري.

بعد أيام وصلتني مكالمةٌ من رقم دولي، كان رقمًا غريبًا، وصوت المتكلم كان بعيدًا جدًا، وكأنَّه يأتي من عمق البحر.

توقَّف قلبي ودارتْ بي الدنيا، وشعرت بأنَّ جدران الغرفة تدور بي، توقعت سماع خبر وفاة زوجي، ولكن المتحدث كان أحد أصدقائه الذين سافر معهم، وكانت محادثةً مختصرةً وسريعةً، تكلَّم كلمتين وأغلق الخطَّ، كساعي بريدٍ متعجلٍ يرمي خطابًا على باب بيتٍ ويمضي، دون أن يلتفت لأثر الرسالة على مستقبلها: نحن الآن في تركيا، لن نعود إلى السجن في غزة، لا تتعبي نفسك في الاتصال بنا، وكونوا بخيرٍ.

دارتْ بي الدنيا، ولم أجد نفسي إلا وأنا منهارةٌ على كرسيّ بجواري. لم يعطِني حتى الفرصة لكي أتلقَّى الصدمة بالتدريج، أغلق الخطَّ، ولم يستمع لي، وأنا أتوسل الحديث لزوجي ولو مرة واحدة، وبعدها فليفعل ما يشاء، لم يستمع لشتائمي له ولزوجي بأبشع الصفات، حينما صحوتُ من هول المفاجأة.

زوجي الذي طعنني بهذه الدرجة من الخيانة؟ كيف لم يذكر لي ولو لمرةٍ واحدةٍ عن مخططاته للهرب، كثيرًا ما تحدثت إليه عن بدائل وحلول لاستمرار حياتنا، ولم يلمح عن تفكيره بالسفر!

على أية حالٍ مضتْ الآن شهورٌ وأيامٌ على غيابه، وها هي حياتي مستمرةٌ، ولكن ليست كالسابق.. مرغمة، أخبرت الأولاد أن أباهم في رحلة علاج طويلة، وربما تطول كثيرًا، وأن عليهم التعود على غيابه والحياة بدونه، وأن يتقبَّلوا ذلك.

وأخيرًا فقد أردتُّ مشاركتك قصتي، ربما تجدين فيها ما يستحقُّ الاهتمام".

"Alaa"

صدمتني الرسالة وحكاية الزوجة المخدوعة، وأردتُّ أن أردَّ عليها بسرعةٍ، قفزتُ من مكاني وصرختُ: نعم أنت يا آلاء التي أبحث عنها منذ وقت طويل. من أنت؟ وأين كنت طوال هذه المدة؟ لماذا لم نلتقِ منذ البداية؟ وهل أفضل المفاجآت هي التي تأتي في النهاية؟ وإن أجمل الأهداف هي من تُحرز في الثواني الأخيرة من المباراة؟ زادت فجأةً دقات قلبي وأنتفض الدم في عروقي، وتحمستُ لأن أفعل شيئًا ما، ولكن بماذا أبدأ؟ هل أرسل لها اعتذارًا عن التأخير على عنوان المنحة؟ أم أرسل فكرة الرواية لهم وبدون مقدمات؟ أم أحاول الاتصال ومقابلة آلاء أولًا، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه؟ وارتبكتُ بماذا أبدأ. كان موعد الديد لاين قد انتهى. راجعت تاريخ الرسالة، وهنا كانت الصدمة المريرة عندما وجدتُّ الرسالة مرسلةً منذ شهر!! وبالضبط مثلما تلقَّت آلاء خبر فرار زوجها، تلقيت الصدمة، وانهرت على الكرسيّ مثلها تمامًا، ودارت بي جدران الغرفة أيضًا، شعرتُ بإحباطٍ شديدٍ، شهرٌ ضاع منّي وأنا أفتش

عن قصة كهذه مع النساء الثرثارات والكاذبات، وعاشقات الدراما، والضائعات في المقاهي والمقابلات العقيمة. يااااه شهرٌ كاملٌ لم أرها! الفرصة كانت لديَّ هنا في الانبوكس، وأنا أبحث عنها خارج البيت! يا الله ما هذه الصدفة الغريبة؟ ابتعدتُ عن الحاسوب وكأنه عدوي، شعرتُ بالندم والخسارة على ما بدّدته من وقتٍ وجهدٍ وتعبٍ. يا لي من غبيةٍ!!!!

ومرةً أخرى استعدتُ توازني، فلا وقت للندم، الوقت يدركني. كتبتُ لها سريعًا أريد أن أراكِ بعد ساعة، ضروري جدًا، وحددت لها المكان، وصلني الردُّ بسرعة البرق: لكِ ذلك.

قمتُ من مكاني بسرعة، ورغم تأخُّر الوقت، لا أدري كيف ارتديتُ ملابسي وخرجتُ، لم أتذكرْ شكل السائق، ولا الشوارع، ولا الناس، كل ما كان يهمني أن أراها، أن أرى وجهها، أن أرى ملامحها، أن أرى آثار السهر والتعب، والتفكير والخذلان عليها، أن أرى القوة والتحدي والإصرار في وقفتها، هيأتُ نفسي أن أطلب منها، بل أتوسل إليها أن تكون ملهمتي، وأن تكون سبب نجاح مشروعي. ترجّلتُ بعض الكلمات والعبارات الجميلة والمنمقة، وأنا أطلب منها ذلك، وكنت أبتسم وترفرف روحي.

وصلتُ إلى المكان الذي اتفقنا عليه في دقائق، وجلستُ في مقعدي وأشرت إلى الجرسون أن يسرع بإحضار الماء لإطفاء لهائي، وبسرعة قمت من مكاني، وشرعتُ في تصفح الوجوه من حولي، ورغم أني كنت خائفةً متوترةً، فقد كنت على ثقة أني سأعرفها بحدسي. تنقلت بعيوني

بين الطاولات في المكان مرات ومرات. لم تكن هناك سيدة وحدها في المكان، وبدأ القلق يتسرب إليّ قبل أن تهزّني يدٌ صغيرةٌ امتَّدت بالسلام نحوي، كان طفلًا صغيرًا، ملامحه ليست غريبةً عنّي:

- مرحبًا خالتي... فاكراني؟
- عبود.. طبعًا أتذكرك.

هو عبود زميل ابنتي في صفها، ويشاركها نفس المقعد، هو الذي قالت لي عنه يوما: إنَّ أمَّه قد رحلت، وحين سألتها كيف رحلت فقالت: إن الغول قد أكلها. يومها ضحكت على تلك الدُّعابة، لكن ابنتي غضبت ونهرتني، وأضافت إن عبود يعيش بلا أمّ، وإن أباه هو من يطبخ لهم، لكن ماذا يفعل عبود هنا في هذا الوقت المتأخر؟ الساعة تقترب من الثامنة مساءً؟

استيقظتُ من أفكاري، ويده تشدُّني ثانيةً لأقف، سألته: هل أنت وحدك هنا؟ فأشار لي ناحية رجل يجلس مع أبنائه، ويلوّح لنا مبتسمًا. نعم هذان الطفلان أيضًا أعرفُهما؛ هما: غسان ومحمد، فهما زملاء ابنتي في المدرسة أيضًا. ولكني مشغولة ولدي مهمة مستعجلة، ولا وقت لمجاملة هذا الرجل المهندم المبتسم، ولكن لم يكن لديَّ مفرّ من ذلك، وعبود يسحبني ناحية تلك الطاولة.

وقف الرجل، وسحب كرسيًّا وقرَّبه منّي، ومدَّ يده للسلام، كنتُ شديدة الحرج، وكدتُّ أن أعتذر له بسبب انشغالي، لكن تلك الرائحة المميزة للعطر جعلتني أصمت للحظات بدت أطول من المفترض، كان رجلًا متوسط الطول ذا عينين سوداوين، وبشرةً فاتحةً. يبدو الارتياح

والثقة على ملامحه، نظرتُ في عينيه مباشرةً، فشعرتُ أنني أعرفه، لا بل أنا رأيتُ هذه القامة وهذه الملامح، لحظةً!! هذه الرائحة أعرفُها!

بادلني النظرات، وتفحصني لحظات، ينظر إليّ ويدي في يده. حينها قال:

- تفضلي بالجلوس، أنا أنتظركِ حسب موعدنا.

ضربتْ رأسي الصاعقة، واختلطت في رأسي الأفكار. كان لا يزال ينظر إليّ بثباتٍ وثقةٍ وقوةٍ. وأنا فقد فهمتُ كل شيءٍ الآن. كل شيء... يا الله لم أعد أشعر برأسي. فجأةً سحبت يدي من يده بخوف. لكنه ظلَّ بنفس ملامح الهدوء والارتياح. تذكرته الآن... نعم هو من كان يحدق بي عن بعد في ذلك اليوم، وأنا على باب المدرسة، هو من بهرني، عندما جاء قبلي في الفصل برائحة عطره التي كانت تفوح، وجذب انتباهي بلمعان حذائه. من المؤكد أنه استعملهما كستارٍ ليظهر أمام الجميع بأنه قويٌّ ولا شيء يكسره، وأنه مهتم بالتفاصيل، ولم يطل الانكسار روحه، كيف ميزت عطره ولمعان حذائه، وكيف لي أن أرى كل هذا، ولم أنتبه لآثار التعب على وجهه، وآثار الخذلان في مشيته؟ نعم الآن فهمتُ.. أنه هو مرسل الرسالة. أرسلها وكأنه هو المرأة التي تم خذلانها، هو الذي يعانى من الغدر، هو من كان يصنع الطعام لأولاده بلا ملح، هو من تركته زوجته وذهبت برفقة صديقاتها الطائشات إلى مكان بعيد متجردة من جميع مهامها ومسئولياتها، متحججةً بسجن غزة، وضيق أفقها، وفقدها لعملها المفاجئ، هو من أصرَّ على الاستمرار، وأن يكون الأمَّ والأب. لا شيء يضعفه، أو يقلل من شأنه، هي اختارت الهرب، وهو اختار البقاء. دارت

كل تلك الأفكار في رأسي بسرعةٍ، ياه كم أنا مغيبة، كيف سيطرتْ عليّ نفس الفكرة المسبقة أن المرأة دومًا هي المخذولة والمغدور بها، لماذا رأيت المشكلة من وجهة نظري، ولم أكن موضوعيةً، لماذا حكمتُ على الحكاية فقط من زاويتي، وتجاهلتُ الزوايا الأخرى، كم أنا مغفلةٌ عندما ظننتُ أن المرأة فقط هي المضحية والمعطاءة و.. و... كان لا يزال ينظر نحوي بثباتٍ وثقةٍ، ينظر إليّ وكأنَّه داخل رأسي يستمع لصوتي، يستمع لضجيج الأحداث وتسارعها وربطها بعضها ببعض كالسلسلة، يستمع تأنيبي ولومي لنفسي، ووصفي لها بالغباء والمحدودية، لم يقاطعني، لم يقطع حبل أفكاري، لم يدافع عني، كل هذا فعله وهو ما زال واقفًا، وينظر لي بنظرةٍ لا أستطيع تفسيرها؛ أنا نهيل التي تفسر كل شيء وكل شخص، وأقوم بتحليله، وقفت عاجزةً أمام هذه النظرة التي ربما قالت كل شيء، قالت الماضي والحاضر، وربما المستقبل.

حاولتُ أن أقطع حبل الصمت الذي طال، حاولتُ أن أثرثر بأفكاري التي دائمًا أفتخر بأنها صحيحةٌ، ولا يشوبها شائبةٌ، حاولتُ أن أقول له كم كنت سطحيةً وجاهلةً. حياتي كلها مرَّت أمام عينيّ كشريط السينما؛ قناعاتي، آرائي، تجربتي، الأيام الطويلة وأنا ألتقي نساءً غريباتٍ يسردن قصصًا لا تشبههنَّ ولا تشبهني، قصصًا غير مقنعة، ولا مؤثرة ولا حقيقية. لم يكن يفصلني عنه سوى نصف متر فقط، وليس 50 مترًا مثل أول مرة لمحت تدقيقه بي، ولكني لم أتبين ملامحه، حاولتُ التغلب على صدمتي وذهولي، ورغم جهدي الكبير خرجت الكلمات متعثرةً عندما قلت له: لمممم لماذا خدعتني، وقدمت نفسك باسم آلاء.

كان ينظر إليَّ وابتسامته ما بين الصدق والذكاء والدهاء، ما بين الشفافية والثقة. نظرةً فيها كلُّ المعاني التي تُقال والتي لا تُقال.

- لم أخدعكِ، أنا اسمي علاء.

وقبل أن أنهار وأغلق عينيّ من هول الصدمة. أكمل عبارته ترافقها ابتسامةٌ رقيقةٌ وخبيثةٌ:

- علاء وليس آلاء.

.....

أخبرني أنه متابعٌ قديمٌ لبوستاتي، تحديدًا البوستات الحاقدة على الرجال، وإصراري على أن الإلهام فقط من حق الأنثى، وأخبرني أنه رآني عدة مرات، وأنا أزور ابنتي في المدرسة، لأنه أيضًا كان يوصل أبناءه يوميًا إلى المدرسة، وأنه توقع أنني أنا صاحبة الإعلان بحدسه، وبكلام ابنه المطول عن أم زميلته التي تدمن الكتب والشخبطة والتحديق إلى شاشة اللاب توب، كما وصفتني ابنتي له، ومن المواقف التي تجمعني بابنتي، والتي أدوّنها على صفحتي، وقال لي: إن لديَّ ابنةً رائعةً تنقل صفاتي بدقةٍ لابنه، ودائمًا تكتب اسمي في رسوماتها، كما قال له ابنه يومًا، وقال أيضًا: إن أفعالي تنسجم وأقوالي، وأنه رغم تعقيداتي إلا أن سطوري واضحةٌ لمن يستطيع القراءة، وأنه انتظر كثيرًا ردّي ولم يفقد الأمل، حتى جاءه الردُّ متأخرًا اليوم. وأنه تمنَّى أن يراني من قبل، وفي ظروف أفضل، وليس من أجل مشروع أو رواية؛ ولكن ليخبرني ويقنعني أنه ليس كل ما نراه يبدو حقيقيًّا فهناك دائمًا حقائق مخفية، وأن القدر يختار أن يظهرها في وقتها، وأنه ليس كل ما يلمع ذهبًا، وربما هناك نجومٌ

بعيدةٌ وخافتةٌ لكنها تضئ لنا الطريق. قال لي: وبالرغم من كل ما حدث فهو لم يكره زوجته، ولم يحقد عليها، ولم يتفوه بكلمةٍ واحدةٍ سيئة في حقّها ولن ييأس من رجوعها، ودائمًا يلتمس لها الأعذار. وأنه ربما كان هذا اختبارًا من الله له، حتى يقيس مدى صبره. وكيف تعمَّد أن يكتب الرسالة إليّ بصيغة الأنثى حتى يوقع بي، ويجعلني أتخلى عن القليل من عنادي وكبريائي، وأن يهزم غروري، وأتيح له فرصة أن يعبر بها عن معاناته. وأقسم أن هذه الطريقة الوحيدة التي من شأنها أن تليق بي.

كان يتكلم وكأنَّه يعرفني منذ سنوات، وكأنَّه يعرف كل تقلباتي ومزاجيتي، وعبثي، وفوضاي، وتناقضي، وربما أيضًا وجعي وألمي المدفون.

كنتُ صامتةً مذهولةً استمعُ إليه بكل حواسي، قال: إن كل سخريتي من الواقع هي ردُّ فعلٍ طبيعيةً لمعاناة كبيرة، وأنه نوعٌ من الدفاع النفسيّ، يمارسه العقل الواعي للسيطرة على الصحة النفسية، في ظل ظروف صعبةٍ وقاسيةٍ مثل أيام غزة.. والحقيقة كنت مبهورةً بذكائه، وتناسق كلماته، ووعيه الراقي، وأضعتُ كلامًا كثيرًا كان ينساب مع صوته الدافئ.

.....

16

بالطبع لم أقدّم المقترح، ولم أكتب الرواية، ولم أسافر، ولم أتمم المشروع. كل شيء تغير عندما وجدتُّ حقيقةً جديدةً، أو ربما الحقيقة هي التي وجدتني، كانت دعوةً لإعادة التفكير في كل شيء. فقبل أن نجتهد في إيجاد الأجوبة الصحيحة يجب أن نصيغ الأسئلة بطريقةٍ صحيحةٍ لذلك أنا مدينةٌ لكم باعترافٍ جديدٍ:

"أنا امرأةٌ لا تعرف شيئًا، والاعترافُ بذلك هو مفتاح المعرفة فعلًا، وأول درجات الدخول إلى العوالم المغلقة. سأعيد اكتشاف الأشياء مرةً أخرى وأعتقد أنني للتو بدأتُ. لا توجد هناك نهايةٌ، فالحياة تجربةٌ وليست معرفة، قل لي: ماذا جربت، وكم من مرةٍ تألمت أقلْ لك: من أنت. وكما قيل: فالطريق أجمل من الهدف، والرحلة أهم من الوصول، والبروفة أجمل من العرض، ورائحة القهوة أشهى من القهوة ذاتها. أشعر بأني تخلصت من كل عقدي، والآن أنا طفلةٌ تخطو عامها الأول، أشعر بأني فراشةٌ تطير بخفةٍ ونقاءٍ وبراءةٍ وطهرٍ.

لا يوجد في داخلي سوى صفحة بيضاء، أشعر بقوةٍ كبيرةٍ كافية أن تحرر بلادًا.

لقد مارستُ فعل التحرر، نعم مارسته؛ حررتُ نفسي من أعبائها، من إحباطاتها، من حصارها، ومن تلوثها لأعيد اكتشاف ذاتي، وصياغتها

مرةً أخرى بدون خربشات. أفرغتُ كل ما في داخلي، ورتبتُ هيكيلتها. فنحن نحتاج لهذه المساحة كل فترةٍ من الزمن لنعيد ملأها، منا من يناضل، ومنا من يبكي، ومنا من يركض ليعود طفلًا صغيرًا.

وأنوّه هنا: أنَّ الدعوة ما زالت مفتوحةً، والعرض جارٍ، للبحث عن ملهمةٍ أو ربما ملهم.

الموقعة أدناه

نهيل

مكتبة
t.me/soramnqraa

البوست الأخير:

"تعتقد المرأة أن توأم الروح هو الشخص الأنسب لها، وهذا ما يريده الجميع، ولكن توأم الروح الحقيقي ليس سوى مرآةٍ، إنه الشخص الذي يريكِ كل ما يعيقكِ، الشخص الذي يلفت انتباهكِ إلى نفسكِ، لكي تغيّري حياتكِ. توأم الروح الحقيقي هو أهم خصم تلتقين به على الأرجح؛ لأنه يمزق جدرانكِ، ويهزكِ بقوة لكي تستفيقي، ولكن أن تعيشي مع توأم روحك إلى الأبد؟ كلا هذا مؤلم جدًا، فتوائم الروح يعبرون حياتكِ فقط".

#eat_pray_love

تمت

غزة

شتاء 2018 – شتاء 2020

نبذة عن المؤلف

http://www.nahilmohana.com

مواليد 5 فبراير 1982 – فلسطين

صدر لها:

- مجموعة قصصية بعنوان «حياة في متر مربع» عن دار أوغاريت للنشر في رام الله سنة 2008.
- نص مسرحي «واللقب امرأة» باللغة العربية ترجم الي اللغة الإنجليزية و طبع باللغتين عن مكتبة الاسكندرية بجمهورية مصر العربية سنة 2010.

عضو في:

اتحاد الكتاب الفلسطينيين.

الجوائز:

- جائزة مسرح الرويال كورت بلندن عن مسرحية «قلم روج» 2015.
- جائزة عبد المحسن القطان أفضل نص مسرحي عن مسرحية «ضغط عالي» 2009.
- جائزة ثقافة الطفل عن نص مسرحي «غصن» 2008.
- جائزة المرأة المبدعة عن فئة القصة القصيرة 2008.
- جائزة ناجي نعمان الأدبية عن فئة القصة القصيرة– لبنان 2007.

كل ما في الأمر رغبتي بأن أكتب رواية. لا.. لا أعتقد رواية تحديدًا، ربما الأقرب إلى اليوميات، أو فلنقل: أريد أن أكتب شيئًا فقط، وليس مهمًا أن نسميه الآن. ربما بعد سنوات يتحول إلى فيلم سينمائي.

نعم هي مشاهد من حياة حقيقية ومختلقة، حدثت أو توهمتها. في النهاية – أو في البداية – أردت أن أحكي حكاية والحكاية هي طريقتنا أو أفضل طرقنا المجنونة للبقاء، والاستمرار في هذا المكان الجهنمي المسمّى غزة.

ولأني احتجت لإلهام ما، بريقٍ ما، شرارة تسحبني لاستكمال العمل، فقد قمت بتصرف هو الأكثر جنونًا من جنون الفكرة ذاتها. ولأن المهمة صعبة، ولأن شعبي هو الأكثر استخدامًا لشبكات التواصل الاجتماعي في المجتمع العربي والغربي، وحتى لا أضيع الوقت في البحث عن إبرة في كومة قش، ارتأيت أن أضع إعلانًا من حساب مزيف على موقع «فيس بوك» أبحث من خلاله عن الملهمة، عن قصة ترويها لي امرأة، وتكون هي بطلة روايتي. وتخيلت أنني بالضرورة سوف أقع على كنز ما، وأن أقول مثلًا: افتح يا سمسم، فتنفتح مغارة علي بابا وتنهال الأسرار على نهيل. ولكن، ولأن المتقدمات كنّ كثيرات جدًا وأكثر من حجم توقعاتي، رأيت أن كل امرأة في غزة تصلح أن تكون بطلة رواية تسكن في الظل، وبين الشوارع، وخلف الغرف المستورة، وفي أكشاك الولادة، وعيادات وكالة الغوث. كلهن شخصيات روائية تمشي بيننا، وكل واحدة ترغب جدًا في أن تصادف مجنونة مثلي تقوم بتدوين «خرافيتها» ليقرأها الجميع. ما اضطرني أن أقوم بمقابلة المترشحات واللواتي تمت مقابلتهن في أماكن متفرقة، وأزمنة مختلفة لتقليل وطأة التعب النفسي عليّ، وللوقاية من الأمراض المحتملة كالشلل والجلطة والموت المفاجئ. وإليكم ما شاهدته وسمعته من قصص، ولا ألف ليلة وليلة.

http://www.nahilmohana.com

telegram
@soramnqraa

ISBN: 978-614-01-3354-9
9 786140 133549

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات. كوم
www.nwf.com

توزيع
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com